


رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي - ت ٢٤٦ﻫ (٢)

الرد على النصارى

تحقيق ودراسة

إمام حنفي عبد الله







الرد على النصارى

الطبعة الأولى
١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

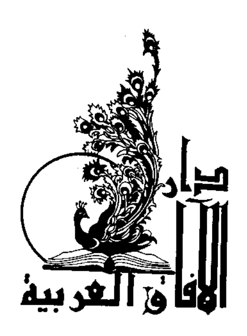


القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت
(من شارع الطيران) - مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤

رقم الإيداع : ١٧٣١ لسنة ٢٠٠٠
الترقيم الدولى : 977-5727-59-6



تحقيق ودراسة
إمام حنفي عبد الله



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ

تقـــــديم

أساء اليهود استقبال المسيح ، عليه السلام ، كما اساءوا استقبال أنبياء الله من قبل ، ولذلك ظلت العلاقة متوترة وغير سلمية بين اليهود والنصارى طوال تاريخهم ، ويرجع ذلك لعدة أسباب ، أهمها رفض اليهود للمسيح رفضًا باتًا ، منذ البدء الأول وهم يرفضونه ، على الرغم من تبشير التوراة بالمسيح ، إلا أن اليهودية تحولت على يد أتباعها إلى دين كهنوتى له طقوسه وطلاسمه وربابنته وعلماؤه ، ولم يكن من السهل الإيمان والتسليم بالمسيح عيسى بن مريم كنبى لليهود ، فأنكروه نسبًا ، وأنكروه نبوة ، بل بلغ بهم الأمر أن أنكروه وجوداً !

وإذا علمنا أن الأناجيل «الموضوعة» ، قد كتبت بعد وفاة عيسى بمدة من الزمان سمحت بأن يخرج كل كاتب بتصور مختلف للعقيدة فى عيسى وشريعته ، ندرك مدى أهمية الإسلام ، ككتاب ورسالة ، فى وجود المسيحية كدين ، فما من شاهد على المسيح وأمه وما جاء به من ربه ولا حياته وتاريخه سوى القرآن الكريم ذلك المصدر الإلهى المقدس المطهر والموثق ، كان بحفظ الله له حفظًا لحقيقة وجود المسيح ورسالته ، وحقيقته هو ، كنبى لا إله ، كما يدعى أتباعه بتصوراتهم الموهومة .

إذاً نحن أمام تصورات ثلاثة فى إثبات وجود المسيح ، الأول ينكره تمامًا ، وهذا يعنى محو الوجود والأثر ، والثانى يقدسه حتى أنه اتخذ منه إلهًا ، والثالث يثبته بشراً رسولاً جاء بهدايات السماء إلى الأرض ، ليطرح مادية اليهود جانبا ، ويهدى خراف بنى إسرائيل الضالة مرة أخرى إلى حظائر الإيمان ، ويعيد إلى الشريعة الموسوية احترامها عند أتباعها ، الذين حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأخفوا كثيراً مما جاءهم ، وعملوا ببعضه ، حسب ما تمليه أهواؤهم عليهم ، وحسب مصالحهم .

وهذه التصورات الثلاث اثنان منها فى جانب الافتراء والاجتراء على الله ، والثالث هو الوحيد الذى يحمل روح الاعتدال والعقل والواقعية التى تليق بوحى السماء ، وترد الاعتبار للنبوة والرسالة .

لقد أشهر اليهود فى وجه الأنبياء سلاحين ، سلاح القتل وسلاح التكذيب ، ولم يْتسامحوا أبداً مع أى منهم ، ويرجع ذلك لطبيعة فيهم ، تتسم بالقسوة والفظاظة والمادية والجرأة والوقاحة ، وهذه ليست ألفاظاً للسب ، ولكن أوصافاً للنعت ، ولذلك كما أنكروا رسالة عيسى أنكروا رسالة محمد ، صلى الله عليهما ، ومن العجب أن ينكر النصارى دين محمد ؛ ﷺ ؛ وهو الذى جاء لإثبات وتصديق رسالة عيسى ، عليه السلام !

لقد فرض التحريف على الحقيقة نفسه ، التوحيد فى مقابل التثليث ، والصدق التاريخى أمام الوهم ، والعقل أمام الخرافة والتزييف ، والإنسان مقابل الابن الإله ، والإله الابن ، ومسئولية الإنسان عن عمله أمام فكرية الخلاص وإلقاء التبعات على السماء والصليب ، كل هذا وقف ليواجه عقائد هشة مفككة ، لطالما أرقت أصحابها دهراً طويلاً .

جاء الإسلام ليبدد ظلامها ، ويقرر الوحى العيسوى كما نزل به عيسى نفسه ، بلا تحريف أوخرافة أضافتها إليه التصورات الأرضية من الفلسفات القديمات التى تؤمن بالوسائط والتعددية الإلهية ، فهذا إله للخير وآخر للحب وثالث للجمال ورابع للقوة ... وهكذا ، مما يعنى غزو الفلسفة اليونانية للعقيدة المسيحية ، وكذلك الفلسفات الشرقية ، واختلطت نجاسات التصورات الأرضية التى خرجت من المعابد وزوايا الكهوف وبطون الجبال لتلوث طهر وحى السماء وتفرض نفسها عليه .

المسيح إنسان أوحى إليه ، وأمه صديقة ، هذه هى صورة القرآن المنزل ، للمسيح وأمه ، الله واحد أحد فرد صمد ، والمسيح عبد ، وبدأت المواجهة التى انتهت بالمباهلة فى المدينة بين الرسول ﷺ ووفد نجران ، وينهزم الوفد القادم لمعرفته بحقيقة الأمر .

ولم ينته الصراع عند المواجهة الأولى بل تطور وأخذ أشكالاً من الصراع أخرى ، كان أوضحها المواجهة العسكرية ، وحسمها المسلمون بكسر شوكة الدولة الرومانية

راعية المسيحية العالمية بأشكالها المختلفة - طواعية وقهراً ، وأخذت أشكال أخرى فى الظهور متمثلة بين المسلمين وفرق النصارى ومدارسهم فى العديد من مدن الإسلام وحواضره ، فلم يعد الأمر فى إطار الفكر العقائدى فقط ، بل جاء من ورائه صراعاً حضارياً يمثل الوجود وتقبل الآخر أو نفيه ، وفى حين بدى الإسلام ديناً وشعباً متسامحاً مع غيره ، لم يكن الأمر كذلك عند الأخيرين الذين عدوا الأمر مواجهة لا يحسمها سوى التسليم بقطب واحد فقط لا غير!

جادل الصحابة فى الفتوحات الأولى السريان فى الشرق والأحباش فى أفريقيا ، ووضعوا صوراً للجدل العقلى عند مناقشة هؤلاء لهم ثم تطور الجدل وتتابعت صوره فى العصرين الأموى والعباسى ووضعت المناظرات بين علماء النصارى والمسلمين ، فنجد أسماء تظهر كيوحنا الدمشقى طبيب خلفاء بنى أمية فيضع الكتب فى جدال المسلمين فى شكل فلسفى جدلى ، ويفعل ذلك قساوسة آخرون فى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامى بغرض الحيلولة بين جماهير المسيحيين والإسلام .

وأخذت المواجهة الفكرية طابعاً جدلياً عقلياً ، وإن كان فى إطار الحوار والمناظرة ، فنجد العديد من علماء المسلمين يضعون الكتب فى مناقشة مذاهب النصارى ، وتحمل كتب الفهارس والفرق أسماء كتب عديدة وضعها علماء المسلمين فى عصور مختلفة ، فنجد واصل بن عطاء يضع « رسالة فى الرد على النصارى » ، وكذلك أبا على الجبائى ، والجاحظ ، حتى الخليفة المأمون يضع رسالة فى الرد على عقائدهم هم واليهود ويسميها (كتاب فى الرد على اليهود والنصارى) ، ويأتى بعد ذلك فى القرن الرابع الهجرى القاضى أبو بكر الباقلانى فيضع كتابه « التمهيد » ، ثم ابن حزم الأندلسى فى القرن الخامس يضع كتابه : « الفصل فى الملل والنحل » ويخصص جزءٍ كبيراً منه فى نقد المسيحية كتاباً وعقيدة بطريقة منهجية رائعة ، تعد بعد ذلك نموذجاً لكثير من العلماء فى الشرق والغرب ، فقد بدأ بنقد النص فى الأناجيل وأظهر تناقض واضعيها تناقضاً فاحشاً مما يدل على تحريفهم لها ، كل بحسب هواه ، ويسجل بعد ذلك القاضى عبد الجبار المعتزلى فصلاً كبيراً فى نقد النصارى والرد عليهم فى موسوعته الكلامية « المغنى » (انظر الجزء الخامس ، ويجمع فيه ردود كثير من علماء المعتزلة ، مما يجعله مصدراً أساسياً لهذه الردود التى اختفى أوضاع كثير

منها) ، وكذلك ناقش الإمام الجوينى عقائد النصارى وتبعه بعد ذلك تلميذه الغزالى ، ثم وضع ابن تيمية الحنبلى كتاب « الجواب الصحيح » وهو فى نقد النصرانية ، وجاء من بعده تلميذه ابن قيم الجوزية ليكتب « إغاثة اللهفان » .. ويرد فى العصر الحديث رحمة الله هندى على العديد من كتب النصارى فى كتابة « إظهار الحق » والذى حلل فيه الأناجيل ونقدها فى دراسة علمية ضافية ، ولا ننسى كتابات الشيخ أحمد ديدات ومناظرته للعديد من قساوسة الغرب ، وكذلك الشيخ محمد الغزالى السقا فى كتابيه « قذائف الحق » و « التعصب بين المسيحية والإسلام » .

ومن هنا ندرك مدى أهمية رسالة القاسم فى الرد على فرق النصارى فى خلافهم حول نزول عيسى واتصاله بأمه ، وكذلك اختلافهم فى كيفية صعوده وتوحده بالكلمة ، واختلافهم حول حقيقة التجسد والاتحاد وهل هو بالناسوت أو اللاهوت ، أوبهما جميعًا !

وفى حين أن الملكانية أعلنت التثليث بكل وضوح ، وناقضت العقل والنقل والتاريخ ونفسها أيضا ، نجد النسطورية تخوض محاولة للتوحيد وجعل الثلاثة واحد فى شكل ما ، ولكن يغلب عليها السذاجة وإن حملت طابعًا فلسفيًا خالصًا .

أما اليعقوبية أصحاب القول بأقنوم واحد وطبيعة واحدة لم يلاقوا ترحيبًا أو قبولاً لدى فرق النصارى الأخرى وقد رد القرآن ، كما نرى فى الرسالة ، كل هذه التصورات الموهومة .

لقد تمثلت فى الرسالة الصياغة الفلسفية الجدلية الواعية إلى جانب النص القرآنى فى مناقشة الرسى للنصارى فى عقائدها مع قدم النص ، إذ كُتب يقينًا فى القرن الثالث الهجرى ، قدرة المسلمين فى الحوار مع الآخر فى عقائده ببصيرة مستنيرة وفهم راشد بعيد عن التعصب الأعمى وفى إطار الدولة الواحدة ، والذى لم تستوعبه أوربا بعد ذلك ولا محاكم التفتيش ، وجاء الباقلانى من بعده فتأثر به تأثرًا واضحًا ، خصوصًا عندما تحدث عن الجوهر والعرض والجوهر والأقانيم ، والاتحاد والتجسد ، وبذلك جمع بين النسق الفلسفى والقرآنى فى وحدة واحدة أفاد من جاء بعده بها ، وساعدت على التأصيل لعلم الكلام منهجًا وموضوعات ، ونقدًا .

* * *

محتوى الرسالة ومنهج المؤلف

بدأ القاسم رسالته في نفى كون الله عز وجل من والد أو يكون له ولد ، وذلك لأن (الربوبية لا تمكن أبد إلا لواحد ليس بأصل لشئ ولا ولدٍ ولا والدٍ) .

فالولد يحمل صفات وسمات أبيه ، وأبوه كذلك يحمل صفات ابنه فهو له شبيه ، ومن كان من والد فآباؤه أولى منه بالعبودية ، وقد نفى النص الألهية لعيسى ونفى الوالدية ، وتعجب من عبادتهم له دون أمه رغم أنها أهل وهو فرعها ، وما ثبت للفرع فالأصل أحق منه بذلك ، وبنفى الألهية عنها تنفى النبوة أيضًا ! .

ومن ناحية المعقول فالأنبياء من البشر يأكلون ويشربون وقد أشار النص لذلك ، وشهدوا هم أنفسهم بذلك ، والنصارى تشهد على عيسى بأنه كان يألم ويفرح ويأكل ، بشر ككل البشر ، وهذه آية بينة تبطل دعوى النصارى فى ألهيته .

والنصارى عبدت عيسى ، عبادة غيرها للنجوم والكواكب وجعلها وسائط وآلهة بينهما وبين الله ، يخلق بهن ويعطى ويمنع ويحيى ويميت بواسطتهن . (وكذلك زعم المشركون ، من أصحاب النجوم ، أن الله خلق الحيوان الميت ودبره بالنجوم السبعة ، وأن بهن وبما جعل الله من القوة فيهن ، كانت من ذلك كل بريته وكل صنعه !) .

وفى ولادة عيسى وتماثله واشتباهه مع غيره من البشر دليل على بشريته وإبطال لدعوى الألهية المزعومة له ، ومن صفات الخالق الواحدية والصمدية ، ونفى الشبيه والمثل : ﴿ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [1] فالله عز وجل : «**ليس له شبيه ولا مثيل وكفىٌ ولا بدىٌ**» .

والقاسم فى إبطاله لدعوى الألهية يجمع بين النص والعقل ، فى إسلوب واضح سلس ، بعيد عن الغموض واللبس ، وفى أدلة برهانية إقناعية ، تلزم الناظر فيها بالتسليم .

ويتنزه الله عز وجل أن يكون كصنعته فى شئ ، وكل خلقه كان بلا علاج ولا أعياه

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .

خلق شئ منها ، وإنما أمره بين الكاف والنون ، وكل الدلائل تشهد أن الخالق واحد لم يلد ولم يولد ﴿ **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤)** ﴾ [١] ، وقد أنكر عز وجل عليهم أن يكون له ولد أو كان هو من والد ، إذ إن ذلك دليل على النقص والحاجة وهو منزه عنهما ، (فمن أين يكون مع الله هذا القول ، منهما ولد ووالد ، وأمرهما جميعًا فى القدم والأزلية واحدٌ ؟!) .

فدعوى الشريك والولد تناقض معنى الأزلية والقدم ، وليس المحدث كالقديم بمثيل أو شبيه ، وقد أنكرت جميع مخلوقات الله ، فحش هذه المقالة ، وإن كان عيسى ابنا لله فهو مثل لجميع الأبناء في الخلق والجبلة : «**ومتى جعلوا المسيح ابنًا وولدًا ، كان مثل الأبناء لله عبدًا مخلقًا متعبدًا**» .

بعد أن يستعرض القاسم الأدلة العقلية والقرآنية فى نفس الشريك والمثل والشبيه والولد ، ويثبت لله الفردانية والوحدانية والصمدية ، والتنزيه عما تقول وتدعى النصارى يضع منهجًا فى مجادلتهم .

* * *

(١) سورة الإخلاص : الآيتان ٣ – ٤ .

منهج في مجادلة الخصوم

يقول القاسم (.. لابد لمن أنصف خصماً فى منازعته له ومجادلته ، من ذكر ما يرى الخصم أن له حجة من مذهبه ومقالته ، فإذا ذكر ذلك كله ، بان ما فيه عليه وله ، فكان ذلك لباطله أقطع وفى الجواب له أبلغ) . إذاً فهو يؤسس لقواعد ثابتة فى النظر والجدل على أساس علمى سليم .

فبدأ بعرض مذهب النصارى بفرقها المختلفة فى عيسى ، ومجادلتهم بعد ذلك ، واشترط على نفسه الإحسان والدعوة إلى الله بالحكمة والبينة ، وقد جاء من كتب فى علم الأديان المقارن من المسلمين ، فاستفاد من أسلوب ومنهج القاسم فى مجادلة أهل الكتاب والرد عليهم كالباقلانى فى « التمهيد » ، أو ابن حزم فى « الفصل » .

واختلف النصارى فى كون الأب والابن والروح القدس ثلاثة متفرقات أومجتمعات ، واختاروا بين التوحيد والتثليث وإلى يومنا هذا يمثل التوحيد مشكلة حقيقية عند النصارى ، سيما عند عرض عقائدهم والإقناع بها ، يأتى بعد ذلك اختلافهم حول حقيقة الاتحاد بين هذه الاقانيم الثلاثة ، وكل فرقة لها رأى فى هذا الأمر فخالفت اليعقوبية النسطورية ، والملكانية خالفت الفرقتين السابقتين ، فمن الذى نزل الأب أم الابن ، ومن الذى حل فى مريم ؟ اختلفوا ولهم فى ذلك مذاهب مضحكة .. لوحاولت العقول فهمها .

والقاسم تعرض لجميع هذه الآراء وتناولها بالمناقشة والرد فبدأ بدعوى الأبوة والنبوة ، فأبطلها من وجوه كلها صحيحة ومقنعة ، ودعاهم للإنصاف فقال : (ولابد لنا ولكم من الإنصاف فيما وقع بيننا وبينكم من الاختلاف ، فإن نحن تناصفنا أأتلفنا ، وإن فارقنا التناصف اختلفنا) .

فمعاندة الحقيقة يؤدى إلى مناصرة الباطل ونبذ الحق ودفع العدل ، ويعود ليؤكد لهم أن الإنصاف فيه خلاصهم من اللبس ، والتأويل يدفع بالتأويل ولا خير فيه عند الاختلاف ولا يصلح إلا عند الاتفاق ، وقد اتفق الجميع على (أن أصدق الشهادات كلها وأعدلها خمس شهادات ، يلزمنا وإياكم أن نقبلها :

١- **فأولها** : زعمنا وزعمتم ، شهادة الله .

٢- والثانيــة : فشهادة ملائكة الله .

٣- والثالثـة : فقول المسيح وشهادته .

٤- والرابعـة : فما شهدت به أمة محمد ووالدته .

٥- والخامسة : فشهادة الحواريين وما كانوا يقولون .

وهكذا نجد القاسم يضع منهجًا فى ترتيب الأدلة وتنظيمها ، لا يعترض عليه الخصوم ، فالإنجيل يشهد بأن عيسى بن داوود ، والمسيح يقول لحوارييه أنهم أبناء الرب جميعًا ، ويدعوهم فى موقف آخر أنهم إخوته ، وأمه تشهد بأنه ابن يوسف . ويحيى يؤل معنى النبوة بالمحبة والولاية ، والملائكة تشهد بنسبه إلى أمه ، والملك ينسبه إلى يوسف .

وهكذا نجد ما ذكره القاسم من أدلة تتضافر فى نسبته إلى غير الله تعالى ، ولم يجرؤ أحد فى نسبته إلى الله ، حتى الشواهد اللغوية جاء فيها ما يدل على أن نسبته إلى الله على وجه من التأويل يعنى المحبة والولاء ، والرأفة .

والمسيح نفسه يقول : (جئتكم من عند أبى وما سمعت عنده فهو ما أكلمكم به ، وأنتم لو كنتم منه ، لقبلتم ما جئتكم به من أمره ولكنكم من الشيطان وأنتم بنوه ..) وهكذا نسبهم إلى الشيطان ، مرة ، وهم ليسوا أبناء له على وجه الحقيقة ، مما يعنى أن الأبوة والنبوة فى الإنجيل متأولة .

وينقل القاسم بأمانة نصوصًا مطولة من الإنجيل منها موعظة الجبل ، وهى فى الشريعة والأخلاق ، وتحتاج لمقارنتها بنصوص القرآن لبيان أن الأخلاق فى الشرائع السماوية واحدة وكذلك الأحكام إلى حد كبير ، وهى موعظة جامعة مانعة شاملة ، يمكن أن يطلق عليها لقب دستور أو منهج أخلاقى من سار عليه اهتدى إلى خيرى الدنيا والآخرة ، وقد أتى به القاسم ليدلل على نبوة عيسى ؛ عليه السلام ؛ كما ذكر الأمثال فى الإنجيل ، وختم بنصح أحد حوارييه بحسن اتباعه والاقتداء به .

* * *

فــى وصــف المخطــوط:

هذا المخطوط هو أحد نفائس مكتبة الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام ، ويوجد فى المكتبة المتوكلية فى الجامع الكبير بصنعاء ، تحت رقم ١٦٧ علم الكلام ، وهو تحت عنوان : الرد على النصارى .

وتاريخ نسخ المخطوط : قديم ، أى لم يحدد بالضبط تاريخ ضبطه ، إلا أن المرجح أنه نسخ فى زمن المؤلف أو بعده بقليل ، وهناك شواهد عديدة على المخطوط أنها قوبلت مرات عديدة .

– القياس : ٢٥ x ١٥سم .

– وهو ضمن مجموع كتب القاسم من ورقة ٤٧ حتى ٥٧ .

– يوجد من المخطوط نسخة مصورة ميكروفيلم تحت رقم ٢٤٢، بدار الكتب المصرية ، وهى التى اعتمدنا عليها .

* * *


http://kotob.has.it

القاسم الرسى

هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنى العلوى ، أبو محمد ، المعروف بالرسى (١٦٩ - ٢٤٦ هـ = ٧٨٥ - ٨٦٠م) فقيه ، شاعر وإمام ثائر من أئمة الزيدية ، عاش فى عهد الدولة العباسية وعاصر الخليفة هارون الرشيد والأمين والمأمون والمعتصم ، وشارك فى الدعوة ا لسرية للشيعة فدعا للرضا من آل محمد ، ومارس الدعوة السرية ، تم تحول إلى الثورة والخروج بعد مقتل أخيه محمد بن إبراهيم بن طباطا ١٩٩ هـ .

ودعا لنفسه وأخذ البيعة من الناس والتف من حوله الجميع ، وكانوا يعدونه نجم آل محمد ، واتصف بالجود والزهد ، واختفى فى مصر مدة عشر سنوات ثم خرج إلى الحجاز واليمن ، وهناك ثار على الدولة فطاردته جنودها ، فعاد للاختفاء مرة أخرى فى البادية .

واستمر مختفيًا مدة حياة المأمون ، وعاود الظهور بعد وفاته ، ولكن انتهى به الحال إلى الملامسة والموادعة فاشترى جبل الرس بالقرب من المدينة وتفرغ للدعوة السرية والتأليف وتحصيل العلم ، والحقيقة إن القاسم كان فطنًا كيسًا ولم يرد أن تنتهى حياته ككل الثوار الخارجين ، وكان مقدرًا لقدراته وإمكاناته ، ولذا بقى فى الرس هناك حتى توفى ودفن .

مؤلفاته :

١- المديح الكبير .

٢- المديح الصغير .

٣- الرد على النصارى .

٤- الرد على الروافض .

٥- الإمامة .

٦- تثبيت الإمامة .

٧- الرد على المجبرة .

٨- الأصول الخمسة .

٩- الفرائض .

١٠- سياسة النفس .

١١- العدل والتوحيد .

١٢- الرد على ابن المقفع .

١٣- الناسخ والمنسوخ .

١٤- فى العدل والتوحيد .

١٥- الدليل الكبير .

١٦- الدليل الصغير .

١٧- المسترشد .

١٨- الرد على الملحد ومناظرته .

١٩- القتل والقتال .

* * *



٤٦ ظ/ الحمد لله الذى لم يزلْ ولا يزالُ .. وله الكبرياء بدءً [١] .. والجلال البرئ [٢] من كل تغّير وزوالٍ ، وتبدل وحركةٍ وانتقال .. أو فناءٍ أو احتيال .. المتعالى عن أن يكون لشئٍ أصلاً متأصلاً أو عنصراً من عناصر الأشياء كلها متحللاً .. فيكون كواحدٍ منها أو كما بانَ فى فروعها عنها ، فكثرَ من قلتهِ بتفرعٍ بعد قلةٍ .. أو عزَّ بكثرتهِ بتجمّع من ذلةٍ ؛ ولو أن ذلك كان فيه كذلك ، لعادَ غيره له نداً ومثلاً ، إذ كان له ، سبحانه ، محتداً وأصلاً ، ولكان حينئذ لكلٍّ ما كان منه ، ووجد من فروعه وعنه ، ما كان من القول [٣] له ، إذ كان المتولد منه مثله ، وكذلك يوجد لكل فرع كان من أصل ما يوجدُ لأصله من التولد مثلاً بمثل ، كفرع ما يُرى من الأشياء كلها ، التى تتولدُ يقينًا عيانًا من نسلها ، مثل ما يتولدُ (غير مرية) [٤] من أصلها ، كما يرى من ولادة [٥] الأبناء ، لمثل ما يتولد من الآباء ، سواء ذلك كله سواءٌ .

وكذلك ما يُرى من متولد الشجر ، وغير الشجر ، فكالأنثى فى ذلك أجمع والذكر ، يتولد فى ذلك كله ، من أولاده ما يتولد ، سواء من والده .

فكل شئ أبداً كان ممكنًا فى أصل ووالدٍ ، كونُ وجوده ، فمثله ممكن سواء فى نسله ومولدهِ ، لا يمتنع لما قلنا به فى ذلك وقبوله ، إلا مكابرٌ فى ذلك لعلمه [٦] ومعقوله ، لذلك [٧] وما فيه من الإمكان ، وما يدخل به على أهله من النقصان ، ما تقدس الله عنه وجل وتطهر منه ، فلم تكن فيه منه ، سبحانه ، ممكنةٌ فى فكرٍ ولامقالٍ ، وكان القولُ عليه ، جل جلاله ، بذلك أحولَ محالٍ ، إذ فى أن يكون شئ

---

(١) فى الأصل : بدءا .

(٢) فى الأصل : البرى .

(٣) فى الأصل : القوله .

(٤) زيادة على الهامش .

(٥) فى الأصل : ولاه .

(٦) يقصد ما نقل من النص صحيحًا متواترًا فإنه لا يخالف العقل وهو علم صحيح .

(٧) فى الأصل : ولذلك .

له ولداً ، أو أن يكون لشئٍ أصلاً محتداً ؛ إبطالُ الألهية والربوبية ، وزوال الأزلية والوحدانية ، وإذ لا يكون واحداً من كان له ولدٌ أبداً ، ولا يكون أزليًا من كان والداً أو أبًا ؛ لأنَّ الابنَ ليس لأبيه بربٍ ، وكذلك الربُّ فليس لمربوبٍ بأبٍ .

إذ كان الابنُ في الذات هو مثلُه ، فكلاهما من الربوبية قاصٍ مبتعدٌ ، إذ ليس منهما من هو بها متفردٌ متوحدٌ ، لأن الربوبية لا تمكَّنُ أبداً إلا لواحدٍ ليس بأصل لشئٍ ، ولا ولدٍ ولا والدٍ .

ولكل ولدٍ في ذاته ما للوالدِ من صفاتهِ ، وكذلك والده . فله من الذات مثل ما للوالد في ذلك من الصفات :

كالإنسانية وحدودها ، ولا مما يوجد فيه ، فيهما ، من موجودها ، أكثر مما لهما ٤٧ و / منها ، وكل واحدٍ منهما فغير مقصرٌ عنها ، ولتمامهما جميعًا فيها ، وفطرةُ الله لهما عليها ؛ كان الابن ولداً لهما ونسلاً ، وكانا له بها محتداً وأصلاً .

وفي ذلك ما يقول الله ، سبحانه ، لعيسى ، صلوات الله عليه ورضوانه ، فيما نزل من الكتاب في يوم البعث والحساب ، توقيفًا وتعريفًا له ، وللعباد ، على أنه قد يحبُ للوالدِ في الذات ، ما يحب للأولاد ، وتوبيخًا لمن أفرده دون أمه في العبودية والألهية ، وحالهما في الذات حالٌ واحدةٌ مستوية ، فعبدوه عمايةً وجهلاً - دونها وهم يعلمونَ أنه ابنُها ومنها ، ويوقنون فلا يشكُّون أن أباها أبوه . فهي واباؤها أولى منه بما أعطوهُ .. إذ كان لولا وجودهم .. ولولا ولادتهم لم يولد !

فكيف يعبدونه ولم يكن قط إلا [1] منهم ، فهو في الذات كهم ؟! .. إلا أن يفرقوا بينه وبينهم بحالٍ ، يخصونه بها دونهم ! .. أو بغير ذلك من فعل من الأفعالِ ، هو سوى ما يجمعهم في الذات من الحال (وإياه) [2] .. !

فكيف وذلك غير قولهم ، وما يبنونَ عليه من أصلهم ؟! .. فاسمعوا لقول الله في ذلك وبيانه ، وما بيَّن فيه ، جل جلاله ، من تفصيله وفرقانه ، إذ يقول له ، صلى الله

---

(١) في الأصل : لا .

(٢) زيادة من الهامش .

عليه ، في ذلك ، من غير ما سخط منه عليه ولا لوم : ﴿ **يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ** ﴾ (١) .

قال : ﴿ **سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ (١١٦)** ﴾ (٢) .

فسبح الله ، جل جلاله ، إكباراً له عن أن يقول - فى ذلك على الله علاّمِ ما كان وما يكون - بقولِ إفكٍ معترىً مكذوبٍ ، لا يصحُ فيه أبداً قولٌ فى فطرةٍ ، ولا يقومُ في سليم من عقلٍ ولا فكرةٍ ، وقال ، صلى الله عليه : ﴿ **مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)** ﴾ (٣) .

فأنبأهم ، صلى الله عليه ، أنه عبدٌ له ، كما هم جميعًا عبيدُهُ ، وأخبر ، سبحانه ، من قوله فى ذلك بما لا ينكره النصارى كلها .. وإن اختلفتْ فى أديانها ، وفرقتها البلدان فى كل (٤) مفترقٍ من أوطانها . لما رأوا منه عيانًا ، وأيقنه من غاب منهم إيقانًا من عبادته ، عليه السلام ، لله ، واجتهاده فى طاعة الله ، وكان فيما عاينوا من مشابهته لهم فى الخلقة ، دليلٌ معينٌ على أنه عبدٌ لله ، يجرى عليه من حكم الله ، فى أنه عبد لله ، ما جرى عليهم ، بما بان من أثر تدبير الله وصنعه ، فيه وفيهم .

وفيما **قلنا من ذلك ومثله** ، **فى أن الفرعَ من الشئ له ما لأصله** ، ما يقولُ الله ، سبحانه ، لرسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، : ﴿ **قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ (٨١)** ﴾ (٥) .

يخبر ، جل جلاله ، عن أنه قد يجب للولد ما يجبُ للوالدِ ، فى كل ما يجب لهم بالطبيعية والذات ، لا فيما يجب من ذلك بالأعراض المحدثات .

---

(١) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٢) سورة المائدة : آية ١١٦ .

(٣) سورة المائدة : آية ١١٧ .

(٤) تكررت فى الأصل : فى كل .

(٥) سورة الزخرف : آية ٨١ .

ولو كان عيسى ، صلى الله عليه ، كما قالوا : ربًا وإلهًا ، وعن أنه لله عبد أو صنعٌ منزهًا ، لكان لأمه من ذلك ما له ، إذ كانت فى الذات مثلَهُ ، بل لكان ينبغى لمن ولده ٤٧ ظ / أن يكون أعلا من ذلك منزلةً منه إذ كان وجوده ، صلى الله عليه ، به وعنه ، وليس أحدٌ من النصارى يثبت لمريم ما يثبت لابنها من الألهية !.. بل كلهم يقول : إنها أمَةٌ من إماءِ الله ، محدثةٌ غير قديمةٍ ، ولا أزلية !

وقد يلزمهم ، صاغرين ، فيها من إضافة الألهية إليها ، ما قال الله ، تبارك وتعالى فيهما ، إذ الحكم واقعٌ بالاشتباه فى الذات عليهما ، فهى فى ذلك كله كولدها ، إذ روحه من روحها ، وجسده من جسدها ، فإن لم يكن فيها ، كذلك زالت البنوة عنه منها ، وزال أن تكون له أمًا عنها ، فلم تكن له أمًا ، ولم يكن لها أبنًا ، إذ لم يكن إلا موضعًا له ومكانًا ، إلا أن يجعلوا الأماكن أمهات لماكان فيها !.. فيقبح ، ما قالوا من أنها أمًا له ، عليها .

فأمًا إنْ جعلوها من طريق ما يعقلُ [1] أمًا له ، فقد جعلوها فى الطبيعة ، لا محالة ، مثله ، وإذا كان ذلك فيهما كذلك ، جعلوه ، صاغرين ، كأمه إنسانًا [2] لا ربًا ولا إلهًا ، وكان الناس كلهم ، إذ هو مثلهم فى ذلك ، له أمثالاً وأشباهًا ، لا افتراق بينه وبينهم فى الإنسيّةِ [3] ، ولا تفاوت بينه وبين جميعهم فى الجنسية . [4]

ولذلك كان يطعمُ ، صلى الله عليه ، كما يطعمون ، ويألم مما يؤلمهم ، كما يألمون ، ويقيمه كما يقيمهم ، الطعام والشرابُ ، ويعرضُ له الحزنُ والغمومُ [5] ، والاهتمام .

---

(١) فى الأصل : يقل .

(٢) فى الأصل : إنسان .

(٣) أى ما خص الإنسان من صفات ، وهى عند الفلاسفة القدماء المعنى الكلى المجرد الدال على ما تتقوم به ماهية الإنسان ، والإنسانية فى الفلسفة الحديثة تعنى :

١- المعنى الكلى الدال على الخصائص المشتركة بين جميع الناس ، كالحياة ، والحيوانية والنطق ، وغيرها .

٢- أو هى جميع خصائص الجنس البشرى التى تميزه عن غيره من الأنواع الغريبة منه .

٣- أو هو مجموع أفراد النوع الإنسانى من حيث هم وجوداً جمعيًا .

(٤) الجنس : جماعة لها صفات مشتركة من أنواع نباتية أوحيوانية ، ولذلك فالجنس أعم من النوع ، والجنس ينقسم إلى أنواع .

(٥) فى الأصل: بدون (و) .

والنصارى كلها فقد تقرُّ بطعمه وحزنهِ واغتمامِه ، وتحمدهُ بما كان من صبره والآمِه ، التى كانت وصلت إليه عندهم فى الضربِ والصلب ، وما كان يَلقى فى سياحته وأمره ونهيه ، والدءوب [1] والنقب .

وما جعل الله من طعمه وأكله ، من الآيات البينة الجليلة ، ما يبطل ما قالت به النصارى فيه ، من الأقوال الكاذبة المفتراة الرديّة ، فى نسبة الله له ، المعقولةِ فى الدنيا والآخرة ، إلى أمهِ ، ما يدل ، والحمد لله ، مَن رشد ، على أنها من أصله وجرمهَ .

وأنه فى ذلك كله كمثلها ، إذ هو منها ومن نسلها ، أباؤه آباؤها ، وغذاؤها غذاؤه ، فليفهم هذا من أمره وأمرها ، وعند ذكره فى النسب وذكرها ، من نفسهم ويعقلُ ولا يتجاهل منه من لا يجهل ، وليعلم أنَّ قولَ الله سبحانه ، كثيرٌ فى كتابه ابن مريم ، وتريدَهُ [2] فى ذلك لذكره بها ، ﷺ ، فيه من تيقن الثلج ، وغوالب (ب) [3] الحجج التى يثلج [4] بها كل قلبٍ ويغلب ، فلا يُعلى بغَلَبٍ .

إذ تقرر من ولادتها له ما لا ينكره من النصارى ، ولا غيرها ، منكرٌ ، ولا يتخير فيه من كل من عرّفه بها ، ولا بما كان له من ولادتها متخيرٌ .. إذ جعله الله ، سبحانه ، ابنها ، ووجوده منها وعنها ، منها كونه وفصوله ، وأصولها كلها أصوله ، وكلُّ ما لزم فرع شئ من تغيير أو فناء ، لزم أصله ، وكذلك كل ما كان من ذلك للأصل فهو له ، لا يأبى ولا يكابرهُ إلا فاسدُ العقل ، جائزٌ .

وفيما قلنا به ، والحمد لله ، من ذلك ، وأن عيسى ، صلى الله عليه ، كذلك ما يقول الله ، سبحانه : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)** ﴾ [5] .

فأى آية أدَلُّ لهم على أنه مثلهم من أكله الطعام لو كانوا يعقلون ! .. فلقد جهلوا من هذا ، ويلهم ، ما لم يجهل قومُ نوحٍ إذ يقولون : ﴿ **مَا هَذَا إِلاَّ**

---

(١) فى الأصل : الدوب .

(٢) أظنها : ترديده .

(٣) ليست فى الأصل .

(٤) يطمئن .

(٥) سورة المائدة : آية ٧٥ .

بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1] ، ومن مثل ما قالت به النصارى ما قال بمثل قولهم المشركون [2] ، فزعموا أن ملائكة الله المقربين (أولادٌ) [3] وبناتٌ لله رب العالمين.

ومنهم ما قبلت النصارى أقوالها وحدث فى الإشراك بالله منهم مثالها ، وهو قول كان يقولُ به فى الأوائل الروم والقبط وأهل الجاهلية من كان يقول فى النجوم السبعة [4] بتثبيت الربوبية لها ، والألهية ، وكانوا يزعمون أن النجومَ السبعةَ ملائكةٌ لله ناطقة ، وأنها آلهةٌ مع الله لما تمَّ بها كونهُ ، خالقةٌ ، وأن الله ، سبحانه ، صنعهن منه صنعًا ، ولم يبتدعن لا من شئ بدعًا فلما أكملهن ، تبارك وتعالى ، وتمَّ تمامهن ، كن كلهن ، به وعنه ، قال لهن : أنتن آلهة الألهية ، بِكُنَّ عقدُ كل معقودٍ ، وحل كل محلولٍ ، وزعموا أن بهنّ وعنهنّ كانت من الحيوان المئات [5] جعْلُه كل مجعول ، بهنّ . كان وجوده وقوامُهُ ، ومنهنَّ كان صنعه وتمامُه ، وأنهن علةٌ ، واسطةٌ [6] بين الله وبين الأشياء ، وأن الله الصانعُ لهنّ ولغيرهنّ ، به ماتت الأحياء ، وكان الله ، لا شريك له ، إلهُ الألهة [7] العلى ، الذى لا يمثلونَه بشئٍ ، والأول القديم الذى لم يزل ، تبارك وتعالى ، من غير أولٍ ولا بدء [8] ، وأنه هو المبتدئ الصانعُ للنجوم السبعة ، المتعالى عن مشابهةِ كل مصنوعٍ كان أو يكون ، وكل صنعةٍ . [9]

---

(١) سورة المؤمنون : آية ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) يشير إلى قوله تعالى من سورة الانعام : آية ١٠٠ ﴿ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ .. ﴾ وإلى قوله تعالى من سورة النحل : ٥٧ ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ وانظر أيضا الشهرستانى : الملل والنحل ٢ / ٥٨٦ .

(٣) فى الأصل : ولدٌ .

(٤) انظر الشهرستانى : الملل والنحل ٢ / ٦٠٩ وما بعدها .

(٥) المايات : فى الأصل .

(٦) فى الأصل : علة وواسطة .

(٧) فى الأصل : الألهية .

(٨) فى الأصل : بدى .

(٩) يبدو من هذه الفقرة معرفة القاسم بن إبراهيم بالفلسفة اليونانية معرفة تامة مما يدل على اتصال المسلمين بالفلسفات والثقافات الأخرى قبل عصر الترجمة ، فقد توفى المأمون سنة ٢١٨ هـ ، والقاسم توفى سنة ٢٤٦ ، وهذا يعنى أن الترجمات المأمونية لم يكن لها التأثير الوحيد فى ثقافة المسلمين ، إذ إن المساحة الزمنية بين وفاة كل منهما ، تعنى أن المسلمين كانوا على معرفة بالفلسفة اليونانية قبل ترجمتها ، وتمثلوها وردوا عليها .وما يذكره القاسم هنا يدل على =

وكذلك قالت النصارى : إنَ اللهَ خلقَ الأشياءَ بابنه نفسه وحفظها ، ودبَّرها بروح قدسه ، وأن الابنَ خلقَ الخلق وفطرَهُ ، وأنَّ روحَ القدُسِ حفظَ الخلقَ ودبَّرَهُ .[1]

وزعموا أن قوةَ الخلق غير قوة الحفظ والتدبير ، وأن الأبَّ لم ينفردْ من ذلك بقليل ولا بكثير ، وأنَّ حالَ الابنِ والأبِّ وروح القدس فى الألهيةِ واحدةٌ ، وأن عبادة كل واحدٍ عليهم واجبةٌ !!..[2]

وكذلك زعمَ المشركونَ ، من أصحاب النجوم ، أنَّ الله خلق الحيوان الميتَ ودبره بالنجوم السبعةِ ، وأن بهنَّ ، وبما جعل الله من القوة فيهن ، كانَتْ من ذلك كلٌّ بريَّتهِ وكل صنعهِ !

فأقوالُهم كلُّهم فى أن لله ولدًا ، واحدةٌ غير متفرقةٍ ، وفريتهم فى ذلك ، فكاذبَةٌ غير مصدقةٍ ، إذ شبهوا بالله غيرَهُ فجعلوه ولدَهُ ونظيرَهُ .[3]

وفى القول فى الولادةِ والاشتباه ، إبطالٌ من قائله لكل إله ، لأنهما إذا تماثلا واشتبها لم يكن واددٌ منهما إلاها ؛ لأنه لا يقدرُ مع تشابههما ، أحدُهما على إبطالِ الأخرَ ، وإذا لم يقدر على إبطاله ، كان عاجزًا غير قادرٍ ، ومن

= معرفته بموقف اليونان من الألهيات وانه عرف الإفلاطونية المحدثة معرفة تامة ، واتصل بها .

انظر فى ذلك الشهرستانى ٢ / ٤١٤ وما بعدها ، وانظر كذلك ٢ / ٤٨٧ حيث يذكر تأثر فلاسفة المسلمين بالفلسفة اليونانية ، ونقدهم لها ، وكذلك الفارابى كمثال لتاثره بنظرية الفيض ، والأفلاطونية المحدثة فى : المدينة الفاضلة ، ص ٣٨ وما بعدها ، والسياسة المدنية ، ص ٤٨ .

(١) جاء فى إنجيل يوحنا : «لانه كما الآب يقيم الأموات ويحيى كذلك ، الابن أيضا يحيى من يشاء ، لان الآب لايدين احدًا بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (الاصحاح الخامس / ٢١ – ٢٢) .

وجاء أيضا : «لانه كما ان الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته ، وأعطاه سلطانًا أن يدين أيضًا ، لانه ابن الإنسان» (الاصحاح الخامس / ٢٦ – ٢٨) .

(٢) جاء فى إنجيل يوحنا : «انا لا اقدُر أن افعل من نفسى شيئًا ، كما اسمع أدين ، ودينونتى عادلة ، لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى ، إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقًا ، الذى يشهد لى هو آخر» .
(الإصحاح الخامس / ٣٠ – ٣٢) .

وجاء أيضا : «لانى قد نزلت من السماء ليس لاعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى» . (الإصحاح السادس ٣٨ – ٣٩) .

(٣) قال تعالى راداً على المشركين : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الزمر آية ٤]. ، وراداً على النصارى : ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ ﴾ [سورة النساء الآية ١٧١] فالله غنى عن الصحابة والولد .

كان عن شئ من الأشياء كلها عاجزاً ، كان عجزُه له عن الربوبية والإلهية حاجزاً.[1]

وإن قال قائلٌ : كان كلٌّ واحد منهما قادراً عن إبطال نظيره . ففى ذلك أدلُّ الدلائل على نقصد كل واحد منهما وتقصيره ، وإذا كان كل واحد منهما ٤٨ ظ / منقوصًا مقصراً ، لم يكن من الأشياء كلها لشئ صانعًا مدبراً ليس له كفوٌ من الأشياء كلِّها ولا مثلٌ ولا نظيرٌ ، ولم يوجد فى السماء ولا فى الأرض ، ولا فيما بينهما صنعٌ ولا تدبيرٌ ، والصنع فقد يُرى بالعيان فى ذلك كله ، قائمًا موجوداً ووجودُه أبينُ وأوجد من وجود كل موجود وجوداً ، وأنه واحدٌ صمدٌ ليس والداً ولا مولوداً ، ولن يجدْ ذلك احدٌ أبداً ، إلا الله الذى لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ، ولم يزل ، تبارك وتعالى ، واحداً [2] صمداً [3] ، ليس من ورائه أزلىٌّ [4] مصمودٌ ، ولا أولىٌّ [5] من الأشياءِ موجود ، فيكون متقدمًا أولاً قبله ،

---

(١) هذا دليل قرآنى على وحدانية الله ، قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (٢٢) ﴾ [سورةالانبياء الآية ٢٢] ، وقال تعالى :﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ (٩١) ﴾ [سورة المؤمنون آية ٩١] ... وقد استفاد المتكلمون من هذا الدليل ، وسموه دليل التمانع وذكروا منه ما أشار لمثله القاسم ، انظر الجوينى : الإرشاد ؛ ص ٦٩ ، ٧٠ ، والقشيرى : اللطائف ، ٣ / ٤٩٧ .

(٢) يقول الآمدى ت ٦٣١ هـ فى كتابه «المبين فى شرح معانى الفاظ الحكماءوالمتكلمين» : وأما الواحد فقد يطلق ويراد به: الواحد بالعدد مطلقًا ، والواحد بالاتصال والواحد بالتركيب ، والواحد بالنوع ، والواحد بالجنس .

١- فأما الواحد بالعدد مطلقا ، ويسمى الواحد بالذات : فعبارة عما لا يقبل الانقسام والتجزئة فى نفسه .

٢- وأما الواحد بالاتصال : فهو ما كان قابلا للتجزئة فى نفسه ، إلا ان اجزاءه متشابهة ؛ كالماء الواحدونحوه .

٣- وأما الواحد بالتركيب : فما هو قابل للانقسام ؛ إلا أن اجزاءه غيرمتشابهة ؛ كالسرير والكرسى ونحوهما .

٤- وأما الواحد بالنوع : فقد يقال على ما كان تحت كلى ، هو نوع له ،كما يقال على زيد وعمرو : هما واحد بالنوع.

٥- وأما الواحد بالجنس : فقد يقال على ما كان تحت كلى هو جنس له ؛ كما يقال للإنسان والفرس : هما واحد بالجنس ؛ ص ١١٤ ، ١١٥ .

(٣) يقول القشيرى (ت ٤٦٥ هـ) فى «التحبير فى التذكير» ، ص ١٢٥ . «فى معنى الصمد ، قيل معناه : الباقى الذى لا يزول، وقيل الدائم ، وقيل الذى لا يطعم ، وقيل الذى لا جوف له ، وقيل الذى يصمد إليه فى الحوائج ، اى يقصد وهو الصحيح ، وقيل السيد الذى ينتهى إليه السؤدد ، وهذا يؤول إلى القول قبله..» ؛ ص ١٢٥ .

(٤) يقول الجرجانى : على بن محمد السيدت ٨١٦ هـ : «الأزلى ، ما لا يكون مسبوقا بالعدم . واعلم ان الموجود أقسام ثلاثة لا رابع لها ، فإنه إمام أزلى وأبدى ، وهو الله سبحانه وتعالى ، أولا أزلى ولا أبدى ، وهو الدنيا ، أو أبدى غير أزلى ، وهو الآخر ، وعكسه محال ، فإن ما يثبت قدمه امتنع عدمه . وقيل : الأزلى الذى لم يكن ليس ، والذى لم يكن ليس لا علة له فى الوجود » التعريفات ؛ ص ٢٧ .
=

فلا يكون الله هو الخالق له ، بل هو الله الخالقُ [١] الأوَّل القديم [٢] ، الذى ليس لغيره عليه أوّليه ولا تقديم .

ولكن كل ما سواه فخلقٌ [٣] ابتدعَه ، فابتداه ، فوُجِدَ بالله خلقًا بريًا بعد عدمه ، بريًا من مشاركة الله فى قدرته وقدمه ، بيّنةٌ [٤] آثارُ الصنع والتدبير فيه ، شاهدةٌ أقطاره بالحدث والصنع عليه ، مختلفٌ مؤلفٌ ضعيف مصرَّفٌ مجسمٌ محدود ، متوهمٌ معدودٌ قد ناهاهُ قطْرهُ وحدُّهُ ، وأحصاه مقداره وعده ، فهو كثيرٌ أشتاتٌ له نعوتٌ وصفات كثيرةٌ متفاوتاتٌ . [٥]

كذلك الحيوان منه والمواتُ ، فليس يوجد أبدًا الواحد الأزلى الذى ليس له مثلٌ ، ولا نظيرٌ ولا كفؤٌ إلا الله ، تقدست أسماؤه وجل ذكره وثناؤه .

وفى ذلك وبيانه ومن حججه وبرهان ما يقول الله ، جل جلاله عنه ، أن يحويه قولٌ أو يناله ، فيما نزّل من كتابه المجيد ، فى سورة الإخلاص والتوحيد : ﴿ **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** ① ﴾ [٦] والأحد فمن ليس له والدٌ ولا ولدٌ ، ﴿ **اللَّهُ الصَّمَدُ** ② ﴾ [٧] والصمد فهو الغايةُ فى كل حيّزٍ ، والمعتمد الذى ليس من ورائه من سمي بأسمائه فيستحق منها ، كما استحق الله شيئًا ، فيكون لله فيما تسمى به منها كفيئًا [٨] كما قال ، سبحانه ، فى كتابه وما نزّل من البيان على عباده ، فيما كان لله ، تبارك وتعالى ، من أسمائه الحسنى متسميات : ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ⑥⑤ ﴾ [٩] ؟!! .

= (٥) الأول : فرد لا يكون غيره من جنسه سابقًا عليه ، ولا مقارنًا له ، والأول فى وصفه تعالى بمعنى القديم الأزلى الذى لا ابتداء له .

(١) الخالق : المخترع للأعيان من العدم ، والخلق التقدير والتصوير .

(٢) القديم : يطلق على الموجود الذى لا يكون وجوده من غيره ، وقد يطلق القديم على ما لا علة لوجوده ، كالبارى – تعالى . وعلى ما لا اول لوجوده ، وإن كان إلى علة . كالعالم على أصل الحكيم (المبين ، ص ١٩٩) .

(٣) الخلق : هو إيجاد الشئ من عدم ، أو من شئ سابق ، فهو مجرد صنع وإحداث ، ومنه خلق الصورة الغنية (المعجم الفلسفى ، ص ٨١) والإبداع : إيجاد الشئ من عدم .

(٤) فى الأصل : بينه .

(٥) انظر الأشعرى : اللمع ، ص ١١ – ١٩ ، وعبد الرازق نوفل : صنع الله ، ص ٧٨ .

(٦) سورة الإخلاص : آية ١ .

(٧) سورة الإخلاص : آية ٢ .

(٨) فى الأصل : كفيا .

(٩) سورة مريم : آية ٦٥ .

فيما نزّل ، سبحانه ، من أنه ليس له كفؤٌ ولا نظيرٌ ، ما يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (1) ، و ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (2) .

وفى أنه ليس له شبيهٌ ولا مثيل ولاكفئٌ ولا بدئٌ (3) ، ما يقول ، سبحانه ، : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (4) .

وكيف يولدُ من لم يزل واحدًا أولاً ، أو يلد من جلَّ أن يكون عنصرًا متحللاً ، لا كيف ، والحمد لله أبدًا ؛ يكون الله والدًا أو ولدًا ؟!! .

فنحمدُ الله على ما منَّ به علينا ، فى ذلك من البيان والهدى ، ونعوذُ بالله فى الدين والدنيا ، من اليهودِ والنصارى والملل الباقية (5) الأخرى .

(فكفى بذلك دليلاً بينًا ، على أن لهذا الصنع العجيب صانعًا ، لا والدًا (له) ولا مولودًا) (6) ، حجج الله المنيرة فى ذلك عليهم ، ففى أقل من ذلك ، بمنِّ الله ، ما يشفيهم من كلِّ سقمٍ (و) كل عمىً عارضهم فيه ، أو داءٍ ، ويكفيهم من كل فضلٍ ، إذا رأوه اهتدوا (7) .

ففى ذلك ما يقول الله ، سبحانه ، لهم كلهم جميعًا ، ولكل من كان من ٤٩ و / غيرهم لقوله فيه سميعًا ، لمن لم يَعْمَ عن قولِ الله فيه ، عماهم ، ولم يعتدِ على الله فيه اعتداءهم .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ (8) ؟! .

فقال الله إكبارًا ، لقولهم فيه ، وردًا : ﴿ سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ۝ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ (9) .

---

(١) سورة الشورى : آية ١١ .
(٢) سورة الأنعام : آية ١٠٣ .
(٣) فى الأصل : كفى ولابدى .
(٤) سورة الأخلاص : الآيتان ٣ ، ٤ .
(٥) فى الأصل : الباقة .
(٦) زيادة من الهامش .
(٧) فى الأصل : أراده هتدى !
(٨) سورة البقرة : آية ١١٦ .
(٩) سورة البقرة : آية ١١٦ ، ١١٧ .

وفى ذلك وتبينه فى افترائهم ، فيه بعينه ، ما يقول ، سبحانه ؛ ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢) لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [١] ومعنى « خرقوا » [٢] فهو افتروا واخترقوا [٣] باطلاً وبهتانًا ، وعمايةً وجهلاً وطغيانًا .

وتأويل « سبحانه » [٤] ، ومعناها فليعرف ذلك من قرأها ، إنما هو بُعْدُ الله وتعاليه عما قالوا ، من اتخاذ الولدِ فيه .

وقول القائل : « سبحانه » إنما معناه بَعُدَ أن يكون [٥] ، كما يقال : بينك وبين ما تريد سبحٌ يا هذا بعيدٌ . فالسَّبْحُ هو البعيدُ الممتنعُ ، والأمر المتعالى المرتفع . فما الذى هو أمنع وأبعد من أن يكون الله والدًا ، أو يولدُ ، وهذا فهو قولٌ متناقض [٦] محالٌ [٧] ، داحضٌ ، لا يقومُ أبدًا فى فكرةٍ ولا وهمٍ ، ولا يصحُّ به كلام من متكلمٍ ، ولذلكَ من محاله وتناقضه وإبطاله ، ما يقولُ الله ، سبحانه ، تعاليًا عن قولهم وبُعْدًا .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [٨] والمتخذُ عند كلِّ أحدٍ ، فهو المستحدثُ المصطنِع ، وما اتخذ فاتصطنعَ ، فهو يقينًا ، المحَدثُ المبتدعُ .

والوالد ، كما بينا فى صدر هذا الكتاب ، كالمولودِ فيما لهما ، بالذات والطبيعة ، من الخاصية والحدود ، فجعلوا الإلهَ البديعَ كالمبدوع ، والربَّ الصانعَ للأشياءِ

---

(١) سورة الأنعام : الآيات ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) انظر المعجم الوسيط : جـ ١ / ٢٢٨ ، مادة : « خرق » .

(٣) فى الأصل : اخترقوا .

(٤) انظر المعجم الوسيط : جـ ١ / ٤١٤ ، مادة : « سبح » .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) الكلام المتناقض هو الذى يكون بعضه مقتضيًا إبطال بعض ، والتناقض ، فى إصطلاح الفلاسفة ، هو اختلاف تصورين أو قضيتين بالإيجاب والسلب . المعجم الفلسفى .

(٧) « المحال من الأشياء ما لا يمكن وجوده ، والمحال من الكلام ما عدل عن وجهه كالمستحيل ، والمحال ما يمتنع وجوده فى الخارج كاجتماع الحركة والسكون فى جزء واحد » التعريفات .

(٨) سورة البقرة : آية ١١٦ .

كالمصنوع ، وكلهم يزعمُ أن الله صانعٌ غير مصنوعٍ ، ومبتدعٌ لجميع البدائع غير مبدوع !!

وإذا صح أن السموات والأرض ، وما فيهن لله ، وأن قيام ذلك ووجوده وصنعه بالله ، وما قضى من أمرٍ ، فإنما قضاؤهُ [١] له بأن يبتدع صنعه وفعله ، لا بنَصَبٍ [٢] وعلاج ، ولا أداةٍ ولا مُعناةٍ ؛ ولكنه يُتم كونه وصنْعهَ ، إذ هو أراده وشاءهُ [٣] ، (وإذا قيل : أمر الله فى خلقه وقضى ، فإنما هى من الله أراد الله وشاء) [٤] .

وما ذكرَ من قنوت الأشياء لله ، فإنما هو قيامُها ووجودها بالله ، وتأويل قوله : ﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ [٥] . إنما هو كلٌّ به ومن أجله كائنون [٦] . وسواء فى هذا الباب ، وفيما ذكر منه فى الكتاب ، قلتَ له وبه ومن أجله ، وكما يقال : فعلتُ ذلك بك ولك ، وكذلك يقالُ : فعلتُ بك ومن أجلك .

ولما أن صحّ بأحق الحقائق ، وأوجد ما يكون من الوثائق ، أن السموات والأرض ومن فيهن ، لا تكون أبدًا إلا من واحدٍ ، صح أن ذلك لا يكون أبدًا من مولودٍ ولا والدٍ .

فكان القول مع صحة هذا ونحوهِ وأمثاله ، بما قالوا به فى الولد ، من أخبث القول ، وأحول محاله ، وأى تناقضٍ ، فى مقالٍ يُقال أقبحُ ، ومحالٍ يتناقضُ ، فاحشٍ واضحٍ من قولهم : ﴿ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [٧] ؟!!..

٤٩ ظ / فجعلوه متخذًا مولودًا ، وهم يقولون مع قولهم لذلك : إن الولد لم يزل قديمًا موجودًا ، لم يُفقد قط ، ولم يزل ، ولم يتغير حاله ، ولم يتبدل !!.. [٨]

---

(١) فى الأصل : قضاوه .

(٢) أي تعب .

(٣) فى الأصل : شاه .

(٤) زيادة بالهامش .

(٥) سورة البقرة : آية ١١٦ .

(٦) انظر المعجم الوسيط " جـ ٢ / ٧٦٧ ، مادة : « قنت » .

(٧) سورة البقرة : آية ١١٦ ، وسورة الكهف : ٤ .

(٨) جاء فى إنجيل يوحنا : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ، هكذا فى البدء عند الله كل شئ به كان ، وبغيره لم يكن شئ مما كان ، فيه كانت الحياة ، والحياة كانت نور الناس » (الإصحاح الأول : ١ – ٥) .
وجاء : « كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتيا إلى العالم ، كان فى العالم ، وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم » (الإصحاح الأول : ٦ – ١١) .

فمن أين يكون مَعَ الله هذا القولِ ، منهما ولدٌ ووالدٌ ، وأمرهما جميعًا في القدمِ والأزليةِ واحدٌ ؟ ! ..

وكيف يكون متخذًا حدثًا مَنْ لم يزل موجودًا قديمًا ؟!!

وإنما يكون المتخذ المستحدث ، مَن كان قبل أن يتخذ مفقودًا عديمًا . فقالوا جميعًا كلهم : هو ابنه وولدُهُ . ثم زعموا مع ذلك أنه ابنه ويسبحه ويعبده ، والمعبود عندهم في الألهية والأزلية ،كالوالد ، فصيروا الربَ المعبودَ في ذلك كله ، كالمربوبِ العابد !!

فهل وراء ما قالوا به من التناقض ، في ذلك على الرب ، من مزيدٍ في تناقضٍ ، أو محالٍ أو ابطالٍ أو فسادٍ أو كذبٍ ، يقول به قائل مناقضٌ محيلٌ ، ويضلُ في مثلهِ إلا تائهٌ ضِلّيلٌ ، قد عَظم في المحال والتناقض إسرافهُ ، وقلّ في المقالِ بالباطل لنفسه إنصافه ، فهو يلعب في حيرتِه ساهيًا ، ويخوضُ في غمرته لاهيًا ؟!!..

وفيه والحمد لله ، وفي أمثاله ممن قال على الله بمقاله ، ما يقول الله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [١] ، (وقال) [٢] : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [٣] ، وفي ذلك ما يقوله ، سبحانه : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [٤] وفي إحالة قول من قال بالولد ، من أهل الكتاب ، وكلٍّ ملحد ما يقولُ ، سبحانه ،: ﴿ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [٥] .

والإِدُّ [٦] من الأمور والأقاويل ، فما امتنع مقالهُ في العقولِ فلم يطق له احتمالاً ،

---

(١) سورة الزخرف : آية ٨٢ .

(٢) ليست في الأصل .

(٣) سورة المعارج : آية ٤٢ .

(٤) سورة سبأ : الآيتان ٤٠ ، ٤١ .

(٥) سورة مريم : الآيات من ٨٩ إلى ٥٩ .

(٦) انظر المعجم الوسيط : جـ ١ / ١٠ ، مادة : « أدد » .

وكان فى نفسه فاسداً مُحالاً . وهو كما قال الله ، سبحانه ، ما لا ينبغى ، وذلك فما ليس بممكن ولا متأتى ، فأى ممتنع فى الأمور ، أبعد مكانًا ، مما قالوا به فى الولد على الله بهتانًا ؟!

وهل يمكنُ ، السموات والأرض فى عقلٍ أو لبٍّ ، أو يكون من ابن أبداً أو أبٍ ؟![1]

وهل للأبن إلا كالأبناء ، وكذلك الأبُ فكالآباء ؟!

فإن لم يكن كهم ، زال أن يكون ابنًا أو أبًا ، ولم يكن ذلك أبدًا فى الأوهام ممكنًا ؛ لأنه إن لم يكن أبٌ وابنٌ ، كابٍ وابنٍ فى الأبوةِ والنبوةِ ، زالت الأبوّةُ والبنوةُ ، واسمُها كلُّها عنْهُ .

وإن كان الابن للابن مثلاً ، كان مثلهُ خَلْقًا مُجتَبلاً ، ومتى جعلوا المسيحَ ابنًا وولدًا ، كان مثلُ الأبناء لله عبداً مخلوقاً متعبداً .

ومتى أنكروا أنه كغيره من الأبناءِ عند الله ، انكروا صاغرين ، أنه يكون ، كما ٥٠ و / قالوا ابنًا لله ؟..

أفليس هذا من القول ، هو المحال بعينه ، وما لا يحتاج أحدٌ يعقل إلى تبينه ، (إذ يثبتون من ذلك فى حال واحدة ماينفون ، وينفون من مقالهم فى حالٍ واحدةٍ مايثبتون)[2] !

ولله ، تبارك ، من الحجة فى كتابه ، على من قال عليه بالولد ما يكثر ، بمّن الله ، عن أن يحصيَه أو يعدده ، أو يدرك مدركٌ ، سوى الله ، أمده ، وكفى بما ذكرنا والحمد لله ، حجةً وردًّا على من زعم أن لله ، تبارك وتعالى ، ولدًا من فرق النصارى واليهود ، وأهلِ الفرية على الله والجحود ، ممن جعل لله ، سبحانه ، ندًا وضدًا ، وجعله والدًا وولدًا .

فليفهم حجج الله فى ذلك كله ، من كان لله مُوحِّدًا ، وليتفقد تناقضَ قولهم فيه ، وفساده وإحالته وإختلافه ، يجْد قولاً محالاً فاسداً متناقضًا مختلفًا .

---

(١) يعنى كما لا تعقل السموات والأرض ، لا يعقل أن يكون ابن أو أب .

(٢) زيادة من الهامش .

وفيه ما يقولُ الله ، سبحانه ، لنبيه ، صلى الله عليه ورفع شأنه : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦ ﴾ [١] .

فأخبر ، سبحانه ، بأسف رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله ، من قولهم على الله ، سبحانه ، الفاسدِ المحالِ ، وبأخبث ما يقالُ من متناقض الأقوال ، ونبأ الله جميعَ عباده بجهلهم ، لقولهم فيه وفساده ، لقوله ، سبحانه : ﴿ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلا لآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ۝٥ ﴾ [٢] .

ووجدنا ما قال الله ، من كذبهم فيه ، وقلة علمهم ، (عليهم) [٣] لازمًا واجبًا ، وكان ذلك ، على ما قالَ به ، من أهلِ الكتابِ ، أوكد ما يقولون به ، من ربوبية ربٍّ الأرباب .

فكلهم يثبتُ لله الربوبيةَ ، ويُصحُّ له الوحدانية ، وجميعهم – وإن زعم أن لله ولداً – يقرّ بربوبيته ووحدانيته ، ويشهد لله بدوامه ، وأزليته التى لا يصح لهم أبداً ما يقولون به منها إلا بتركهم لمقالتهم فى الولد ، والرجوع عنها ، ولن يرجعوا عن ذلك مُصارحةً أبداً ، وإن هم قالو . أن قد أتخذ الله ولداً !

لأن فى رجوعهم عن القول لله بالوحدانية والأزلية ؛ لحوقهم عند أنفسهم ، بقولِ أهل الجاهلية من عبدةِ الأوثانِ والنجوم والنيران ، وذلك فما لن يقولوه ، وإن لم يعرفوا الله ، وجهلوه لفساد ذلك عندهم ، وبشاعةِ وبُعد إمكانِ ذلك فى الله ، وامتناعه .

ولذلك ما يقول جل جلاله ، عن أن يصح عليه تشبيه شئ ، أو يناله فى أزليةٍ قديمةٍ ، أو ذاتٍ أو صفةٍ ما ، كانت من صفاتٍ ، إذ فى ذلك لو كان كذلك ، إشراكُ غيرِه معه فى الألهيةِ ، إذ كان شريكًا له فى القدمِ والأزلية .

فتبارك الله الذى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ [٤] ، وجل ربنا ، عن أن يكون له فى شئٍ ، كفؤٌ ونظيرٌ .

---

(١) سورة الكهف : آيات ٤ ، ٥ ، ٦ .

(٢) سورة الكهف : آية ٥ .

(٣) زيادة بالهامش .

(٤) سورة الشورى : آية ١١ .

وأنـــىّ [1] وكيف يكون ، خلقٌ كخالقه ؟!.. وهل يصحُّ ، من ناطقٍ لهذا ، (منطقٌ) [2] لناطقه ؟!.. لا ، ولو تظاهر الخلق جميعًا عليه ، لما صحَّ لهم ، والحمد لله، أبدًا منطقٌ فيه .

*** أسس مجادلة أهل الكتاب :**

* وبعد ، فلابدَّ لمن أنصفَ خصمًا فى منازعته له ، ومجادلته ، من ذكر مايَرى [3] الخصم أن له حجةً من مذهبه ومقالتهِ ، فإذا ذكرَ ذلك كله ، بان ما فيه ، عليه ولَه ، ٥٠ ظ / فكان ذلك لباطله أقطع ، وفى الجواب له أبلغ وأجمع .

والنصارى فهم خصمأؤنا فى الله ، فلابد من تبيين ما افتروا فيه على الله ، وهم ممن قال الله فيهم : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾ [4] ومن الذين قال فيهم : ﴿ .. **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ** .. ﴾ [5] فهم فى ذلك كغيرهم من كَفرة الأمم .

* فليفهم ، من قرأ كتابنا هذا ، ما نصفه فيه من قولهم ، فسنصفه ، بما يعلمه علماءُ كل فرقةٍ منهم ، إن شاء ، ونعرِّفُه ونستقصى لهم فيه كله ، ما أستقصوا لأنفسهم من المقال .

ثم نجادلهم فيه على الحق ، بالتى هى أحسنُ ، وأبلغُ فى الجدالِ ، وندعوهم إلى سبيل ربنا وربهم ، بالحكمة والبينة ونعظهم ، إن شاء الله ، فيه بالمواعظِ البليغة الحسنة .

فَإنَّ اللهَ يقولُ لرسوله ، صلى الله عليه وعلى آله ، : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** (١٢٥) ﴾ [6] .

فنستعصم من ذلك كله ، بعصمةِ الهداة المرشدين .

---

(١) فى الأصل : وانا .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) فى الأصل : يرا .

(٤) سورة : الحج آية ٣ ، ٨ ، ولقمان : آية ٢٠ . وقد وهم المؤلف فى ذكر الآية وهذا هو الاقرب .

(٥) سورة الحج : آية ١٩ .

(٦) سورة النحل : آية ١٢٥ .

وهذا [١] كتابُ ما جددتِ النصارى من قولها ، قد استقصينا فيه جميع أصولها . فليفهم ذلك ، إن شاء الله ، من أراد فهمه من الأمم عنها .

*** عقيدة النصارى فى التثليث :**

*** زعمت النصارى كلُّها** أن الله سبحانه ثلاثة أشخاصٍ مفترقة ، وأن تلك الأشخاص الثلاثة كلها طبيعة واحدةٌ متفقة !..

وقالوا : تلك الثلاثةُ فى درك يقين النفس ، أبٌ وابنٌ وروحُ القدسِ .

قالوا : فالأب غيرُ مولودٍ ، والابن فابن وولدٌ مولودٌ ، وروح القدس فلا ولد ولا مولودٌ ، وكلُ واحدٍ من الثلاثة ، بما قلنا ، فموجودٌ .

وقالوا : إن هذه الأشخاص الثلاثة ، لم تزل جميعًا معًا ، لم يسبق بعضها فى الوجود . وأن ما ذكروا من الأب والروح والولد ، لم يزالوا كلهم فى اللاهوت [٢] وَمُلكٍ واحدٍ ، ليس بين الثلاثةِ كُلّها تفاوتٌ فى الألهية ، ولا فى قدمٍ ولا قدرةٍ ولا ملك ولا مشيئةٍ ، وأن الثلاثةَ كلها واحدةٌ فى الطبيعة ، (والذات) [٣] .

*** مثال الشمس ونارها ونورها :**

وأن هذا الواحد فى الطبيعة ثلاثةٌ فى الأشخاص المفرقة ، (وقالوا :) [٤] وذلك كالشمسِ ، فيما يُدْرَكُ منها بالحسِّ [٥] ، التى هى شمسٌ واحدةٌ [٦] فى كمالها وذاتها ، وثلاثة متغايرةٌ ، فى حالها (حالاتها) [٧] وصفاتها ،

---

(١) فى الأصل : وهذى .

(٢) اللاهوت : الخالق ، والناسوت : المخلوق ، وربما يطلق الأول على الروح ، والثانى على البدن ، وربما يطلق الأول أيضا على العالم العلوى ، وعلى السبب والمسبب ، وعلى الجن والإنس . ولهامعان كثيرة يمكن الرجوع للمعجم لمعرفتها ٢ / ٢٧٧ جميل صليبا .

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) زيادة من الهامش .

(٥) الحس عند الفلاسفة والمتكلمين هو الإدراك بإحدى الحواس أو الفعل الذى تؤديه أحدى الحواس ، أو الوظيفة النفسية الفيزيولوجية التى تدرك أنواعًا مختلفة من الإحساس .. والفرق بين الحس والإحساس ان الأول قوة أو ملكة ، اما الحاسة فهى قوة طبيعية لها اتصال بأجهزة عضوية ، بها يدرك الإنسان أو الحيوان ما يطرأ على جسمه من التغيرات ، المعجم ٢ / ٤٦٧ .

(٦) فى الأصل واحد .

(٧) زيادة من الهامش .

كـل واحدٍ منها غيرُ الآخر ، فى شخصهِ وصفته ، وإن كانَ هو هو ، فى ذاتهِ[1] وطبيعتهِ .

فمن ذلك ، زعموا ، أن الشمسً فى عينِها كالأبِّ ، وضوِها فيها كالابن ، وحرِّها فيها كالروح ، ثم هى بعدُ ، وإن كانت لها هذه العدةُ ، فشمسٌ لا يشكُّ فيها أحدٌ ، واحدةٌ ؛ لأن (الشمس)[2] إن فارقَها ضوؤها لم تُدعَ شمسًا ، وكذلك إن فارقها حرُّها لم تُدعَ أيضًا شمسًا ، وإنما تسمى الشمسُ شمسًا وتدعى ؛ إذا كان هذا كُلُه فيها مجتمعًا .

وكذلك الإنسانُ فإنه ، وإن كان فى الإنسانية واحدًا ، فإنا نراه ، وترونه ، أشياءَ كثيرةً عددًا ؛ فيها نفسه (وجسده)[3] ، وحياته ومنطقه ، فجسده غير نفسانيته ، ومنطقه غير حياته ؛ لأنه ليس يقدر أحدٌ أن يزعَم أن الحياةَ هى المنطق .. ولا أنهما جميعًا واحدٌ متفقٌ ؛ لأن كثيرًا من الأحياء لا يتكلمُ ولا ينطق !

٥١ و / **قالوا** : ولسنا نريدُ بالمنطق ، القولَ الذى يُسمعُ سماعًا ولا كنا نريدُ الفكرَ الذى . جعله الله فى الإنسان غريزةً وطباعًا وفطرةً ، خاصةً فى الإنسان لا فى غيره من الحيوان ، كالحيوان الذى جُعل من البهائم ، وغيرها من نوابت الأرض وشجرها .

ولو كانت الحياة هى المنطق ، لكان كل حى من الأشياء ينطقُ ، فنطقُ جميع البهائم كما ينطق بنو آدمَ .[4]

وقالوا : فلمَّا لم يكن الأمر كذلك ، دلّ على ما قلنا به من ذلك ، فالأبُ والأبن

---

(١) الذات النفس والشخص ، يقال ذات الشئ نفسه وعينه ، والنسبة ذات الشئ نفسه وعينه ، والنسبة إليه ذاتى .. والذات أهم من الشخص ، لأن الذات . يطلق على الجسم وغيره ، والشخص لا يطلق إلا على الجسم .

(٢ ، ٣) تكملة من الهامش .

(٤) هذا النص وغيره يدل على معرفته بالمنطق الصورى ومفاهيمه ومصطلحاته ، والذى فرق فيه بين الكم والكيف والأنا .. إلخ ، وكذلك اهتم بالحد المنطقى ، فنجد القاسم ينقد الحد المنطقى فى كون الإنسان حيوان ناطق ، رادًا على التصور الأرسطى الذى يفرق بين التصور فى الذهن والواقع ، ولا يهتم بغير التصورات الذهنية ، وإن خالفت الواقع ، وعلى ذلك يمكن القطع بأن المسلمين الأوائل فى هذه الفترة المبكرة من تاريخ الفكر الإسلامى قد ردوا على المنطق الآرسطى ، بالمنطق والتصور الإسلامى للحياة والإنسان والالوهية .. انظر المعجم الفلسفى فى تعريفه للإنسان ٢ / ١٥٥ ، وما بعدها ، والحيوان ٢ / ٥٠٦ .

وروحِ القدس ، كان دركهم بعقلٍ [١] أو حسٍ ، فقد صاروا فى الذاتِ والطبيعية واحدًا فردًا ، وفى الأقانيم [٢] ، التى هى الأشخاص ، ثلاثةً عددًا .

فالطبيعةُ تجمعُهم وتوحدهم ، والأقانيم تفرقهم وتعددهم ، فالأب ليس بالابن ، والابن فليس بالروح ، وما قلنا به من هذا فبينٌ مشروحٌ ، فهم كلهم بالطبيعة والذات واحدٌ ، وهم فى الأقانيم ثلاثةٌ ، روحٌ ، وابن ، وأبٌ والدٌ ؛ فثالثٌ موجودٌ لا والدٌ ولا مولودٌ .

قالوا : ثم إن هذه الأقانيم الثلاثة ،التي لم تزلْ جميعًا معًا ، ثلاثة عددًا ، لم يسبقْ فى الأزليةِ والقدمِ واحدٌ ، منها واحدًا أُنزلَ واحدٌ منها ، وهو الابن إلى الأرض ، رأفةً بالبشر والإنسِ ، عن غيرِ مفارقةٍ منه للأب ، ولا لروح القدس ، إلى مريمَ العذراء فأاخذ منها حجابًا وسترًا ، فتجسد منها بجسد كامل ، فى جميع إنسانيته ، فتبدّى به ، وظهر فيه لأعين الناظرين عند معاينته .

فأكل كما (يأكل) [٣] الإنسان وشرب ، وساحَ على قدميه ، ودأب وتعب ، فأسلم نفسه – رأفةً ورحمةً بالبشرِ – للصلب ، ولما صار إليه ، لكرمهِ وحلمهِ ، من الأذى والنصب .

* * *

*** اختلاف النصارى حول حقيقة الاتحاد :**

ثم اختلف النصارى بعدُ فى الابن والوالدِ ، وما كان من تجسده بمازعموا من الجسدِ .

---

(١) العقل عند الفلاسفة جوهر بسيط مدرك للاشياء بحقائقها ، وليس مركبًا من قوة قابلة للفساد ، وإنما هو مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله . والإدراك العقلى قوة النفس التى بها يحصل تصور المعانى ، وتاليف القضايا والأمّية . والفرق بينه وبين الحس ان العقل يستطيع ان يجرد الصورة عن المادة ، وعن لواحق المادة اما الحس فإنه لا يستطيع ذلك .

(٢) الاقنوم : أصل ، والجوهر ، والشخص . والاقاليم الثلاثة عند المسيحيين هى الآب ، والابن ، والروح القدس ، وعند الاسكندرانيين – فى الإفلوطينية المحدثة – وقيل إن أفلوطين اول من أدخل هذا اللفظ فى اللغة الفلسفية ، ثم استعمله كتاب عصره من المسيحيين واطلقوه على الآب والابن والروح القدس ، من جهة كونهم جواهر أو أقانيم متميزة بعضها عن بعض .

وهو عند الفلاسفة الحقيقة الوجودية ، وعند اللاهوتيين يطلق على اتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية ، بحيث تكون الثانية هى الحامل أو الجوهر الذى به تقوم الأولى . المعجم ١ / ١١٢ .

(٣) زيادة من الهامش .

فقالتْ فيه الروم [١] ، وهو قولها المعلوم : إن القنّومَ ، الإلهى الذى لم يزل موجوداً ، ومن قبل الدهور ، من الأب مولوداً ، أنزل إلى مريمَ العذراء [٢] فأخذ منها طبيعة بغير قنومٍ ، فكان لطبيعتها ، قنومًا بطبيعتها ، التي أخذَ منها ، كل ما كان لها فى طبيعتها معلومًا ، فنام كماكانت تنامُ نومها ، وإن لم يكن قِنّومُهُ قِنّومَها ، وفعَلَ من أفعال طباعِها فعلها ، وإن لم يكن أصله فى الناسوتِ أصلَها !

قالوا : فعمل بطبيعتها ، فكان المسيحُ إنسانًا تامًا بطبيعتين ، وإن كان قنّومًا واحداً ، لا اثنين ، والمسيح فهو ابن الله الأزلى المولود ، وعملُ الطبيعتين جميعًا ، فهو فيه موجودٌ .

قالوا : فإذا أُسَّر أو بكى ، أو ضحك أو أشتكى ، وكلهم يقر ولا يشك ، أنه قد كان يبكى ويضحك ، (قالوا جميعًا) [٣] : فكلُّ ما كان من ذلك كله ، وما أشبَهَهُ مما فى طبائع الإنسِ ، فمن عمل الطبيعة الإنسانية .

وما كان من إحيائهِ الموتى ، وإبرائهِ للكمهِ والبرصىٰ ومثلهُ ، فمن عمل الطبيعة [٤] الإلهيةِ .

(٢) وقالت اليعقوبية [٥] : إن الابن الذى لم يزل ، زال من السماء إلى الأرضِ (ونزل) [٦] رأفة منه ، ورحمةً بالإنسان ، وتعطفًا منه على البشر بالإحسان ، فأخذ ٥١ ظ / من مريَم العذراء جسداً فتجسَّدَ به فصارا جميعًا واحداً .

---

(١) يقصد الملكانية : راجع الشهرستانى الملل والنحل ؛ ١ / ٢٦٦ ومابعدها .

وهم ينسبون إلى ملك الروم ، ويقولون : إن الله اسم لثلاثة معان ، فهو واحد ثلاثة ، وثلاثة واحد . وقالوا : إن اتحاد الله ، تعالى بعيسى كان باقيًا حالة صلبه . انظر المقريزى ٤ / ٤٠٨ والرازى : اعتقادات ، ص ٥٤ .

(٢) فى الأصل : العذاء .

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) فى الأصل : الطبيعية .

(٥) فى الأصل : العقوبية . . وهى فرقة من فرق النصارى . راجع الشهرستانى : الملل والنحل ، ١ / ٢٧٠ وما بعدها . وهم ينسبون إلى يعقوب البرذعانى ، وكان راهبًا بالقسطنطينية ، وقيل : إنهم أهل مذهب ديسقورس . قال ابن العميد : وإنما سمى أهل ديسقورس يعقوبية ، لأن اسمه كان فى الغلمانية يعقوب . . وقيل : بل كان له تلميذ اسمه يعقوب فنسبوا إليه ، وقيل وجد فى مصر فى القرن السادس ، وبعث القول بطبيعة واحدة للمسيح . واقباط مصر من اليعاقبة ، وكذلك السريان والأرض انظر ابن خلدون : ١ / ٢٢٥ ، وابن حزم ١ : ٤٩ ، والموسوعة الفلسفية ، ص ٥٣٤ .

(٦) زيادة من الهامش .

وقـــالـوا : ألا تـرونَ أن الإنسـان مـن روحٍ وجسـدٍ ، ثم هو يُدعى إنسـانًا باسم واحدٍ !.. فقد ترونهما وإن سُمّيا بالإنسان ، فليس يقالُ : إنهما فى الإنسانيةِ اثنان ، و(لكن) [1] يقال : إنه إنسانٌ واحدٌ ، وهوكما تعلمونَ روحٌ وجسدٌ .

قالوا : وكذلك المسيحُ ، الذى هو اجتماعُ اللاهوتِ والناسوتِ ، يسمى مسيحًا ، وهو ابن [2] الله الذى لم يزل .

أفما ترونَ من هذا قولاً ، فيما ذكرنا وقسنا ، قولاً صحيحًا ؟!..

(٣) وقـالـت النسطورية [3] : إن الابنَ الذى لم يزل بمحبته ، نزلَ رأفةً وكرمًا ، فتجسد من مريم عند نزولهِ ، جسداً كاملاً تامًا ، بطبيعة وقنومَةٍ من إنسانيةٍ وآدميةٍ ، فكان المسيح طبيعتين وقنومين ، بَعَد تجسُّدِه بالجسدِ ، تامين .

قـالوا : فنحن إذا رأيناه يأكل أو يشرب ، ويحيى فى الأرض ، ويذهب وينصبُ ويشتكى ، ويضحك ويبكى ، جعلنا ذلك كله ، وما رأينا منه ، ومثله ، من الناسوت .فـإذا نحن رأيناه يحـيى الموتـى ويبـرئ المرضى ويمشى على الماء ، جـعلنا ذلك اللاهـوت.

وقالت فرق النصارى كلها مع اختلافها وافتراق قولها فى أوصافها : إن سبب نزول الابن الإلهىّ ، الذى نزل من السـمـاء رحـمـةً للبـشـر ، ومحـافظةً على الرسل والأنبياء.

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) فى الأصل : بن .

(٣) راجع الشهرستانى : الملل والنحل ، ١ / ٢٦٨ وما بعدها . أصحاب نسطور الحكيم ، الذى ظهر فى زمان المأمون ، وهم فرقة مسيحية قالوا : إن الله واحد ، ولكنه ذو أقانيم ثلاثة ، الوجود والعلم والحياة ، وهى ليست زائدة على الذات ، ولا هى هو ، وأن الكلمة اتحدت بجسد المسيح لا على طريق الامتزاج ، ولا على طريق الظهور به ، ولكن كاشراق الشمس فى الكوة على البلورة ، وكظهور النقش فى الشمع ، إذا طبع بخاتم .

وفسر تطور واحدية الله بانها بالجوهر ، اى إنه ليس مركبًا ، بل بسيط وواحد ، وفسر الحياة والعلم بأنهما أقنومان جوهر، اى أنهما أصلان ومبدءان للعالم .

وفسر العلم بالنطق والكلمة ويعنى من ذلك أن الله موجود وحى وناطق ، كما تقول الفلاسفة فى حد الإنسان .

انظر الموسوعة الفلسفية ؛ ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، وابن خلدون : ١ / ٢٢٤ .

إلا أن هذه المعانى تتغاير فى الإنسان ، لكونه جوهرًا مركبًا ، وهو جوهر بسيط غير مركب ، وزعم بعض النسطوريين أن كل واحدٍ من الأقانيم الثلاثة حى ناطق إله ، وأن الابن لم يزل متولداً من الأب ، وإنما تجسد واتحد بجسد المسيح =

قالوا : من أجل خطيئة آدم ، فإنه لمّا أن أخطأ وأكل من الشجرة التى نهاهُ الله عنها فعصى ، تبرأ [1] الله ، تبارك وتعالى ، منه ، وأسلمه [2] إلى الشيطان باتباعه له .

قالوا : فكان فى حيِّز الشيطان ودارِ مُلكه ، وكذلك ، زعموا ، كان فيها معه جميع ولدِه [3] ، يحكم فيهم الشيطان ، بما أحبَّ من حكمه .

قالوا : وكان فيما ملك الشيطان من آدم ونسله ، أنفسٌ كبيرة من أنبياء الله ورسلهِ ، فمن تلك الأنفس نفس نوحٍ ، ونَفسُ إبراهيم ، وغيرهما من أنفسِ الرسل النبيين .

قالوا : فتلطف الابنُ واحتال ، لاستخراج تلك الأنفس من يدِ الشيطانِ ، فلبس لذلك ، ومن أجله ، جسداً آدميًا ؛ ليكون بما ليس منه ، عن الشيطان خفيًّا .

فتنكرً الابنُ بذلك له ؛ لكى لا يحترس الشيطانُ منه فلا ينفذَ فيه مكره .

قالوا : فلما غلبتْ على الناس الخطيئة ، وحلَّتْ بها فيهم البلية ، واستبان لآدم - زعموا - ما فعلَ الشيطانُ به ، وما كان من غروره إياه [4] ، وخديعتهِ له ، خدع عند تلك (اللحظة) [5] الابن الشيطان بمكره ، فبلغ فيه ما أرادَ من أمره ، فاستخرجَ آدم وجميعَ ولدهِ من سلطانِ الشيطان ويده !

قالوا : وذلك كلهُ فإنما كان الابن يبذلُ نفسه للصلب ، ولما لقى من الأذى قبله والنصب ، إحسانًا من الابن إلينا ، وكرمًا ورأفةً من الابن بنا ورحمةً ! .

قالوا : فاشترى الابن البشرَ من أبيه ، بما وصل من ذلك من الأذى والصلب إليه ! .

= حين ولد ، والحدوث راجع إلى الجسد والناسوت ، فهو إله وإنسان اتحدا ، وهما جوهران اقنومان طبيعيان ، جوهر قديم، وجوهر محدث ، إلهٌ تام ، وإنسان تام ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ، ولا حدوث المحدث ، لكنهما صارا مسيحًا واحداً ، وطبيعة واحدة ، وان القتل والصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته ، لان الإله ، لا تحله الآلام .

(١) فى الأصل : تبرئ .

(٢) فى الأصل : وأسلما .

(٣) فى الأصل : ولد .

(٤) فى الأصل : إيا .

(٥) زيادة ليست فى الأصل .

٥٢ و / وذلك – زعموا – أن أباه لم يكن فى حكمه وعدله أن يظلمَ الشيطانَ ما جعل له من آدم وولده أن صاروا إلى طاعة الشيطان وأمره ! .. لأنه قال للشيطان – فيما يزعمون المقال – « كلٌّ من اتبعَك فهو لَكْ » .

قالوا : فلذلك اشترانا الابن من أبيه بالعدلِ ، وغلبَ الشيطان على ماكان فى يده منا بالمكر ! .. فلما استخرج آدم ونفوس الرسل والأنبياء ، صعد بعد فراغه من معاملة الشيطان إلى السماء ، بعد أربعين (يومًا) [1] مرَّتْ بعد الذى كان من صلبه .

قالوا : فجلس عن يمين أبيه تامًا بكليته وجسدهِ ، وجميع ما فيه من اللاهوت والناسوت ، وكل ما كان فيهما ولهما من النعوت .

قالوا : وسينزلُ مرةً أخرى ، فيدينُ الأحياءُ والأموات ، عند فناء الدنيا .

قالوا : ولذلك آمنا بالأب والابن وروح القدس .

قالوا : والأبُ هو الذى خلق الأشياءَ بابنه ، وحفظها بروح قدسه .

فهذا ، فليعلمه من أراد علمَهُ ، جماعُ قول النصارى ، وما لبَّسوا من اللبس ، فى الآب والابن وروح القدس ، وفى الأقانيم والطبيعة ، وما لهم من المقالةِ البديعة ، التى لم يقل بها قبلهم قائل ، ولم يتنازع فيها مجيبٌ ولا سائلٌ !

وقولهم : إن الثلاثة فى موضعٍ يوحدون ، وفى موضع بعَد التوحيد يثلثون ! .. وفى سبب نزول الابنُ – زعموا – من أجل خطيئة آدمَ ، وما قالوا به فى ذلك من خلافِ جميع الأمم ، فلم يترك لهم بعد هذا من قولٍ يجهله (منهم) [2] إلا كل جهولٍ .

*** الرد على النصارى فى مقولتهم :**

ونحن ، إن شاء الله ، مبتدئون فرادونَ بباب ٍفباب ٍ، بما يقولون ويحدّون ، فليفهم ذلك من يريد مجادلتهم ، من أهل التوحيد والدعوةِ ، فإنا مقدمُون ، إن شاء الله من ذلك :

---

(١) زيادة من الهامش .

(٢) زيادة من الهامش .

(١) **باب الأبوة والبنوة** فقائلون لهم جميعًا جوابهم : أخبرونا عن هذه الأسماء ، التى سميتم وادعيتم ، من خرافاتِ القول فيها ما أدعيتم ، من أبٍ زعمتم ، وابن ، وروح قدسٍ ؟!..

لم يدل على شئ منه قياسٌ ولا حاسةٌ من الحواس الخمس ، ما هذه الأسماء ؟.. أسماء طبيعية ذاتية جوهرية ؟!.. أم أسماء شخصية قنّوميّة ؟!.. أم تقولون هى أسماء حادثهٌ عرضيةٌ ؟!

فإنكم إن كنتم إنما سميتم الأب عندكم أبًا ، لأنه ولد ، بزعمكم ، ولدًا وابنًا ، فليس هذه الأسماء بأسماء طبيعية ذاتية ، ولا أسماءٌ أيضًا قنّومية شخصيةٌ ، ولكنها حادثةٌ عرضيّةٌ ، عند حدوث أولادٍ ، بين الوالدين والأولاد ، وليس بأسماء طبيعية ولا قنّوم لا فى الروم ، ولا فى غير الروم.

والطبيعية فإنما تسمى بطبائعها وذاتها وبما يكمل ذلك كله لها ، من اجتماعها ، لأنا بالأسماء المعلقةِ ، بالعلةِ المشتقةِ من الأفعالٍ المعتملة أعرفُ .

لأن اسم الطبيعية غير اسم القنوّم ، واسم القُنّوم غيرُ اسم الفعل المعلوم ، واسم الطبيعية ثابت ، لا اختلاف فيه ولا تفاوتٍ ، وإنما هو اسم لها محدود موقفٌ لا ينصرف فيها ، ولا يختلف ، فلا يدل [١] على قنوم ولا فعل مفعول ، ولكنّه اسم ٥٢ ظ / الشئ نفسه ، يدل عليه ، لا على جنسهِ ، **كالأرض والسماء والنار والماء** ، وأشباه ذلك من الأسماء ، التى تدل على أعيان الأشياء ، فهذه هى اسماء الذات والطبائع ، لا اسماء الأقانيم والصنائع .

فأما اسماء القنومية ، التى ليست بطبيعية [٢] ولا عرضية ، فمثل إبراهيم وموسى وداود وعيسى ، وليس فى الأسماء الطبيعية ، ولا فى الأسماء الشخصية القنومية ، أبوّةٌ ولا بنوةٍ ، ولا أفعال ولا قوة .

إنما هى أسماء تدل (عى الأعيان ، فالإنسانية تدل على) [٣] الإنسان ، فيما بينا ، والحمد لله ، من تحديدنا الذى حددنا فى الأسماء ، حجةُ لايدفعها فى

---

(١) فى الاصل : فيدل .

(٢) فى الأصل : طبيعة .

(٣) زيادة من الهامش .

التسميِ ، عندهم ، إلا من كانَ من أهل الجهلِ والعمى ؛ لأن الأسماء عندهم للأشياء ثلاثةُ أسماءَ .

١- اسمٌ وَجَوهرٌ : كالأرض والسماء .

٢- واسم قنــــوم : كفلانِ المعلوم .

٣- واسمٌ ثالثٌ من عرضٍ وحدثٍ : سمى به كل محدثٍ .

وذعمت الفرقُ الثلاثُ من النصارى – فنعوذ بالله من الجهل بالله ! أنها تجد فيما فى أيدها من كتب الأنبياء ، أن المسيح بن مريمَ هو الله ، وأنه هو ابن [(١)] الله .

فجعلوا في قولهم هذا ، الابن أباه ، ثم رجعوا ، فجعلوا الأبَ هو أباهُ !.. غفلةً وسهوًا واختلافًا وعماية وتخرصًا واعتسافًا ، تصديقًا لقول الله فيهم ، وفى أمثالهم ، ومن كان يقول من أهلِ الجهالة بمقالتهم : ﴿ **إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١)** ﴾ [(٢)] .

وإنما أخذت النصارى ، وقبلت هذه الكتب ، فيما زعمت وقالت ، عندما صُلبَ عندهم المســيح [(٣)] ، صلى الله عليه ، من اليهود ، وليس أحدٌ من خاصتهم ولا عامتهم عند النصارى بعدلٍ ولا محمودٍ ولا تُقبل شهادتهُ على يهوديٌ مثلهِ ..!

فكيف تقبل شهادتُهم على الله ، تعالى ، وعلى رسله !..

مع أن لما قالت النصارى من ذلك كلـه ، فخارج عندنا فى التأويـل ، صحيحةً ، لا يعمى عنها ، ولا عمّا بيَّنَ الله منها ، إلا من لم يقبل فيها عن الله بيانًا ولا نصيحةَ .

ولكن النصارى تأولت ، تلك الكتب ، بآرائها ، وعلى قَدْرِ مافقهِ أهوائها ، فضلَّتُ فى ذلك ، وما تأولت منه بعمى التأويل ، وأضلت من اتبعها عليه ، عن سواء السبيل .

فيقالُ إن شاء الله ، فيما تأوّلوه من ذلك ، وادعوا وفتروا فى ذلك على

---

(١) فى الأصل : بن .

(٢) سورة الذاريات : الآيات ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ .

(٣) انظر فى ذلك ، المحلى لابن حزم الأندلسى ت ٤٥٦ هـ جـ٢ / ١٢٥ – ١٣٢ .

كتب الأنبياءِ ، وابتدعوا مالم يسبقهم إليه أحدٌ ، ولم يقل به قبلهم مفتر ، ولا ملحدٌ :

إنا لم ندرك ، نحن ولا أنتم ، أحداً من حوارييّه ، فنسأل من أدركنا منهم ، نحن وأنتم ، فيه فتكتفوا بمن أدركتم من الأنبياء ، عليهم السلام ، فى التأويل ونجتمع ، نحن وأنتم ، على الحق فيما اختلفنا من الأقاويل .

*** دعوة القاسم لهم إلى الإنصاف :**

ولابد لنا ولكم من الإنصاف ، فيما وقع بيننا وبينكم ، من الاختلاف ، ٥٣ و/فإن نحن تناصفنا أأتلفنا [١] ، وإن فارقنا التناصف اختلفنا ثم لم يعد أبداً الأتلافِ [٢] إلا بعودةٍ منا إلى الإنصاف ، والتناصف هو الحكمُ العدلُ ، بعد الله ، بين المختلفين (والسقاء) [٣] الشافى الذى لاشفاءَ ، أبداً ، فى غيره للمتناصفين .

فأنصفوا الحق من أنفسكم تخرجوا ، بإذن الله ، بإنصافكم من لبسكم ، وارفضوا للحق أهواءكم ، تسعدوا فى دينكم ودنياكم ، وأقيموا ما أنزل الله إليكم من ربكم ، من التوراة والإنجيل ، واتركوا الافتراء على الله فيها ، بعمى التأويل ، تهتدوا ، إن شاء الله ، لقصد سبيلكم – وتأكلوا – كما قال الله – من فوقكم ومن تحت أرجلكم ، وافهموا قول العزيز الوهاب فيكم ، وفى غيركم من أهل الكتاب : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾** ﴾ [٤] .

فكفى بهذا بيانا من الله ، فى أهل الكتاب ، لقوم يعقلون ، وليعلم من فهم منهم ، أو من غيرهم ، فيما ذكر الله لهم ، من المأكل ومثله ، أنه عجيبةٌ ظاهرة ، لمن يفهمها بعقله ، يدل على أنه لم ينزلها ، إلاعلام الغيوب ، الذى لا يخفى عليه شئ من سرائر القلوب .

ثم لا سيما خاصةً من النصارى من أهل الكتاب ، وما هم عليه من الحرص

(١ ، ٢) فى الأصل : ائتلفنا ، والائتلاف .

(٣) زيادة فى الهامش .

(٤) سورة المائدة : آية ٦٦ .

والكدٌ والاكتساب ، فإنا لم نر [1] أمةً من أهل الكتابِ أرغب فى المأكل والمشربِ ، واكتناز الفضةِ والذهب ، منهم خاصةً دون غيرهم .

معلومٌ ذلك من غنيهم وفقيرهم ، ولذلك ما يقول الله ، سبحانه ، فيهم ، وفى بيان ما قلنا به من ذلك عليهم ، .: ﴿ **إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)** ﴾ [2] .

فرهبانهم ، إلا القليل ، وشمامستهم تعولُهم أبداً ، أقوياؤهم وضعفتهم ، وليس من الرهبان والشمامسة من تكلف فى مطمعه ولا مشربه ، ولاكسوته ، ولا مصلحته كفالةً ، ومن وكفاهم ذلك من عوامهم وضعفتهم ، فقد يَرى ذلك قربةً له ، عندما يعبدونَ ، وزلفةً .

فأول مايقال ، إن شاءَ الله ، لمن أراد الإنصافَ لنفسه منهم ، وعند من تحرى المجادلة ، فيما إدعوا من الكتب ، من أحدٍ من أهل التوحيد ، وبيِّنهُ هؤلاء :

أنصفونا ، فيما ادعيتم ، من شهادات الكتب ، من أنفسكم ، فلا تَدَّعوا فيها ، ولا تأولوا تأويلاً ملتبساً ، يزيدكم لبساً على لبسكم ، فإن شئتم تأولتم الكتب ، وتأولنا على ما قد قلتم وقلنا .

ولنا من التأويل مثل ما لكم ، وقولنا فيه يخالفُ أقوالكم ، فإن كان ذلك أحب إليكم ، فافهموا فيه ما يدخل عليكم ، فلسنا ندخل عليكم فيه إلا ما نُجمِعُ يحسن وأنتمِ عليه .

أجمعنا ، نحن وأنتم ، جميعًا كلنا ، وقولكم بما قلنا به ، من ذلك قولنا على أن أصدق الشهاداتِ كلها ، وأعدلها خمس شهادات ، يلزمنا وأياكم أن نقبلها :

١- **فأولها** : زعمنا وزعمتم ، شهادة الله .

٢- **والثانية** : فشهادة ملائكة الله .

٣- **والثالثة** : فقول المسيح وشهادته .

---

(١) فى الأصل : ندى .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٤ .

٥٣ ظ / ٤- **والرابعة** : فما شهدت به . أمة محمد ووالدتِه .

٥- **والخامسة** : فشهادة الحواريين وما كانوا يقولون .

فهذه خمسُ شهادات ، ليس منها ما تنكرون ، وكلها فنحن به وأنتم راضون ، فيما ندَّعى فى المسيح وتدعون ، فقد وجدنا ووجدتم ، فى الأناجيل الأربعة شهادات مختلفة كلها فيما عندنا وعندكم .

(١) وقد أحطتم وأحطنا معرفةً ، فيما فى الإنجيل الذى يُدعى عندكم « إنجيلاً » ، مثل ما لا تنكرون من قوله فى أول ما وضع من إنجيله ، « هذا ميلاد يسوع بن داود »[1] فهذه شهادته ، وهو من الحواريين ، على أن أبا المسيح داود ، وأن المسيح ابنه وهو منه مولود .

ولهذه الشهادة فى الأناجيل الأربعة نظائر كثيرة ، وفى ذلك حجة عليكم لا تدفعُ ظاهرةً منيرة .

(٢) ومنها شهادة المسيح ، صلى الله عليه ، لحوارييه أنهم بنو الأب جميعًا ، وأن الله أبوهم كلهم معًا ، وهذا يدل على أن تأويلَ الأبوة والبنوة ، غير ما قلتم به فيها من الدعوى .[2]

(٣) ومنها شهادة المسيح أن الحواريين إخوتهُ ، فإن شئتم فقولوا فى نسب أو غير نسبٍ ، فلهم بذلك ما له بعد شهادته ، صلى الله عليه ، زعمتم أنه ابن[3] الأبِ[4] .

(٤) ومنها شهادةُ أمِّهِ ، صلى الله عليها ، على أنه ابن يوسف جدُها ، وابنُها[5] .

* ومنه قول فليبس لسائل سأله ، إذ قال له عند مسألته عنه ، وهو ذلك الذى ذكره موسى فى التوارة ، ونسبه ، صلى الله عليه ، فيها وسماه ، فقال : « يسوع بن يوسف ؛ يعرف هذا منكم كل عارفٍ »[6] .

---

(١) إنجيل متى ؛ الأصحاح ٢٢ / ٤١ - ٤٦ .

(٢) إنجيل متى ؛ الأصحاح ٥ / فقرة ٤٨ (فكونوا أنتم كاملين ، كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل) !، وفى الأصل ذكر كلمة : الدعوة ، بدلاً مما أثبتنا .

(٣) فى الأصل : بن .

(٤) انظر إنجيل يوحنا الأصحاح ١٥ (١٥ - ١٦) .

(٥) انظر إنجيل لوقا الأصحاح الثانى / ٢٥ - ٣٠ وأيضًا من ٤١ - ٥٣ .

(٦) قارن بما جاء فى إنجيل متى ؛ ١٦ : ١٣ - ١٦ ، مرقص ٨ : ٢٧ - ٢٩ .

(٥) ومنها أيضاً شهادة يحيى ، عليه السلام ، [١] التى تدل على أن معنى البنوة . والولادة ، إنما هو معنى المحبة والولاية والعبادة ، إذ يقولُ : « أما أولئك الذين قبلوا قوله ، وسلموا فيما سمعوا منه له ، فلم يولدوا من اللحم والدم ، ولا من مزاج المرة والبلغم ؛ ولكنهم ، زعم ، من الله ولدُوا واعطوا من كرامَةِ ما رضوا وحمدوا » [٢] .

فتأويلُ هذا ومثله ، إن كان صدق فيه ، فإنما هو على ما يصحُ أن يكون عليه ، لا على ما يستحيل فى الألباب والعقول ، ويفسد ويتناقض من القول فى التأويل ، من أن يكونَ الربُ عبداً ، والوالد مع ولادتهِ ولداً ! . . وذلك أجهل الجهل وفى ذلك المكابرة لكل العقل .

(٦) أما سمعوا قول الملائكةِ لمريمَ ، صلى الله عليهم وعليها وسلم ، عندما صاروا به من البشارة بولادتها للمسيح إليها : « تلدين ابناً » . ولم يقولوا : تلدين ابن الله . **وقالوا** : « يُدعى يسوعُ ويكون علياً عظيماً بالله ، ويرث كرسيَّ أبيه داود » [٣] . فلو كان كما تقولون ، تعالت الملائكة : تلدين ابن الله ، ويكون منك مولوداً . فكان أعظم فى القدرِ والخطر ، من (أن) [٤] **يقال** : ابن البشر .

(٧) وكذلك قال الملك ليوسف ، زعم ، بعلُها [٥] . عندما أراد [٦] ، لما ظهر من حملها ، من تطليقهِ لها ، وتخلية سبيلها : « يا يوسف بن داود لا تخل سبيل ٥٤ و / امرأتك ، فإن الذى بها من روحٍ ، الله وهو يُدعى يسوعُ ويدعى الله [٧] سبعةً من خطاياهم بإذن الله .

ومما زعموا فاعرِفوا : أنه دلَّهم وشهد ، على ما ادعوا ، لهم واعتقدوا من ضلال أقاويلهم .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) قارن هذا النص بنص آخر فى إنجيل يوحنا ؛ الأصحاح ١ / ١١ – ١٤ .

(٣) إنجيل لوقا ؛ (الأصحاح الأول ١٣ – ١٤) .

(٤) زيادة من الهامش ، وكتب ابن بدون ، ألف .

(٥) أى زوجها .

(٦) فى الأصل : أراد من .

(٧) انظر إنجيل متى ؛ الأصحاح الأول (الفقرات من ١٨ – ٢٤) وقارن بإنجيل لوقا ٣ / ٢٣ – ٣٨ حيث نسبة إلى يوسف ، وآدم .

١- قال الله - زعموا فى إنجيلهم فى المسيح بن مريم ، ﷺ : « هذا النبىُّ الحبيبُ الصفىُّ » [١] .

٢- **وقول سمعان** : « الصفاء له ، أنت ابن الله الحى » [٢] .

وما ذكروا من هذا ، إن صح ، ومثله مما يدعون على الله على رسله ، فقد يوجَدُ له تأويلٌ لماقالوا ، مبطلٌ مزيل ، لا ينكرونه ولا يدفعونه ، ولا يكذبون من خالفهم فيه ، ولا ينازعون من أن ملائكة الله ، ومن مضى من رسل الله ، لم يسنِّحِ المسيح قط ولم يعبده ، ولم يزعم أحدٌ منهم ، أن الله ولده .

ومن تأويل ما ذكروا ، من الولد والابن ، فى زمن المسيح ، وكل زمن ، أن الناس لم يزالوا يدعون ابنا وولداً ، مَنْ تبنّوا وأحبّوا وخصُّوا عندهم ، وإن لم يكن ، من طريق التناسل ، ولدهم .

ثم لم يزل ذلك لديهم معروفًا قديمًا وحديثًا ولا سيما فى القدماء من أهل العلم والحكماء ، فكان الحكيم منهم يقول : يابنى لمن علمه ويدعون المتعلم بأسم الأيوةِ معلمهُ ، فيقول : قد قلت وقلنا يا أبانا . وربما قال أحدهم : يأبتِ [٣] أما ترانا .

قال بعضهم :

*** أبـاءُ أرواحِنا الذين هـم ... أخرجونا من منزلِ التلف**

*** من علم العلمَ كان خير أبٍ ... ذاك أبُ الروح لاأبُ النطف**

وذلك ، والحمد لله ، فى الأمم كلها ، فأوجد موجودٍ ، يقوله الرحيم منهم ، لمن ليس بابن له مولودٍ .

ومما [٤] كان يقول المسيح ، صلى الله عليه ، كثيراً - لا ينكره النصارى - لحوارييه : « إذهبوا بنا إلى أبينا . وقولوا يا أبانا أنزل من سمائك طعامًا علينا » . ومن

---

(١) انظر إنجيل متى إصحاح ١٢ / ١٧ - ١٨ (... هو ذا فتاى الذى اخترته حبيبى الذى سُرَّتْ به نفسى) .

(٢) انظر إنجيل متى أصحاح ١٢ / ١٧ .

(٣) فى الأصل : يا أبةِ .

(٤) فى الأصل وبما .

ذلك قوله لهم ، صلى الله عليه وعليهم ، : يا أبانا تقدس اسمك لتنزل فى الأرض ملكوتك وحكمك [١] .

فهل يتوهم أحدٌ أنه أبٌ من الأباء ، يلدُ وَينسلُ يتغير ويتغذى ، أو يصل إليه صَلْبٌ ، أو نصبٌ أو أذىً ، (بإنكار سرور ، أو ثبات مكروه) !! [٢]

لا ، بحمد الله تعالى ، وكلا ، تبارك ربنا عن ذلك وتعالى ، ولكنه أرحم بنا وألطف ، وأعطف علينا وأرأفُ ، من الآباء كلهم والأمهات ، ومن أنفسنا فيما يهمنا من المهمات .

وقد ذكر عن بعض الحكماء ، ممن مضى من أوائل القدماء ، أنه إذا أخذ فى التسبيح لله والذكر ، قال : الله الذى هو فى ذاته محب للبشر ، وإنما يراد بالمحبة لهم ، الرأفة والرحمة بهم .

وكذلك قال الرحمن الرحيم : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [٣] فمن أرأف بهم وأرحم ، وأعطف عليهم وأكرم ، ممن خلقهم مبتدءاً فسوّاهم ، وأعطاهم من نعمه ما أعطاهم ، ثم دلهم بعد ذلك على الهدى ، وبين لهم الغى والردى ، لا مَنَّ بحمد الله وفضلِه ، فنقر [٤] الله بالنعم من ذلك كله .

* ومما نحتج به على من كفر منهم بربه ، جهلاً وجانبةً ؛ قول المسيح بن مريم لهم ، فيما زعموا من إنجليهم – إبانةً – وهو قوله : « جئتكم من عند أبى وما سمعتُ عنده ٥٤ ظ / فهو ما أكلمكم به ، وأنتم لو كنتم منه ، لقبلتم ما جئتكم به من أمره ، ولكنكم من الشيطان وأنتم بنوه ، ولذلك قبلتم قوله ، فلم تخالفوه وإنما أنتم أبناء الخطيئة ، والشيطان أبوها ، وأنتم صاغرون لطاعتكم فبنوها » . فقالوا : نحن بنو إبراهيم ، ورموه بالبهتان العظيم ، فقال : « لستم بولد إبراهيم ولا ببنيه ، ولو كنتم ولده لعملتم ما يرضيه ، ولكنكم بنو الشيطان والخطيئة ؛ أخبرونى هل منكم من

---

(١) انظر المحلى لابن حزم ٢ / ٥١ ، فقد ذكر عدة آيات من إنجيل متى ، تدل على أن عيسى ، عليه السلام ، كان يطلق لفظ « الآب » ويقصد به السيد ، والرب المطاع الذى هو ربه ورب الحواريين ، ولذلك قال : يا أبانا .

(٢) زيادة من الهامش .

(٣) سورة الحج . آية ٦٥ .

(٤) فى الأصل ، فنستمتع ولا معنى لها فى السياق .

يرتجى الله بمعصية ؟ فعلامَ تريدون فتكى ولا تقبلون قولى ؟! لو عملتم [1] بطاعة الله ، إذًا لكنتم أبناء الله » [2] .

فجعل الله أبًا لمن أطاعه وأرضاه ، وجعل الشيطان أبًا لمن أطاعه وأتبع هواه . وكفى بهذا حجةً دافعة ، وشهادة قاطعة بالغة ، على من تأول من النصارى الأبوّه والنبوة ، على ما تأولوها عليه ، وما قلنا به من هذا كلِه ، فهم مقرون فى إنجيلهم به ، لا يختلفون.

فإن لم تكن الأبوة والنبوة إلا على ما قالوا ، لزمهم أن يتأولوا كل ما فى إنجيلهم من الأبوة والنبوة ، بما تأولوا ، فقد يقرون ، كلهم ، من ذلك فى إنجيلهم بما سنذكره ، مع ما ذكرنا ، إن شاء الله ، من أقاويلهم .

– زعموا أن فيها ، وفيما يصفونه إليها ، أن المسيح خرج من القُرى ، وتنحى وصام فى البرية أربعين صباحًا ، لم يأكل فيها طعامًا ولم يشرب فيها شرابًا ، فجاءه إبليس فى صومه ومنتحاه ، فعرض عليه جميع زهرةِ الدنيا وأراها إياه ، فلما رأى المسيح ذلك كله ، سأله إبليس أن يسجد له سجدة واحدة على أن يعطيه من ذلك كل ما أراه ، فلعنه المسيح وأخساه ، وقال : **لا يصلح السجود لغير الله ، إخسأ إليك ياعدوَّ الله .**

فقال إبليس ، زعموا ، له عندما جرى من القولِ بينه وبينه ، فاليوم لك أربعون يومًا لم تشرب شرباً ، ولم تطعم طعامًا ، فادع الله إن كنت له حبيبًا ، أن يجعل لك هذه الحجارة فضةً وذهبًا ! فقال له : ألم تعلم ، يالعين ، أن كلام الله يكفى من اكتفى به من أحبّ كل طعامٍ وشرابٍ [3] .

ومن كلام الله الذى ذكر ، صلى الله عليه ، مانزَّل لا شريك له من كل كتابٍ ، وزعموا فى أن أناجيلهم ، «إن الله أوحى إلى يوسف تعال مريم بعد ولادتها للمسيح ، بما الله به أعلم ، أن انطلق بالصبى وأمه إلى مصر ، فأقم بها أنت ومريم حتى أبيِّنَ لك

---

(١) فى الأصل : عملت .

(٢) إنجيل يوحنا الإصحاح ٨ / ٤١ – ٤٤ .

(٣) مراجع إنجيل متى : (الإصحاح الرابع : الفقرات من ظ – ١١) ، وإنجيل لوقا : (الرصحاح ٤ الفقرات من ظ – ١٤) .

موت هيرودوس [١] وهو ملك من ملوك الروم كان ملكًا على بنى إسرائيل ، فإن يريد قتل عيسى ودماره ، فرحل بمريم وابنها ليلاً ، وأتم الله ، زعموا ، بما كان من ذلك من أمره ، بعض ما أوحى إليه من كتب رسله ، إذ يقول ، سبحانه : « فى مصر دعوت صفىّ » . قالوا فى إنجيلهم : فلما مات هيردوس أوحى الله إلى « يوسف : أن قد مات ، فانطلق بعيسى وأمه إلى أرض إسرائيل » [٢] .

* وزعموا أن هذا كله موجود عندهم ، فيما فى أيديهم من الإنجيل ، وأنه لما قدم بهما يوسف سمع أن ليلاودس [٣] ملك من اليهود بعد أبيه ، ما كان يملك أبوه ، ففزع لعيسى وأشفق عليه ، فأوحى الله ، تبارك وتعالى ، إليه : أن امضِ إلى ٥٥ و/ جبل الجليل فكن فيه (مقيمًا) . فخرج حتى نزل منه فى مدينة يقال لها ناصرة ، تصديقًا لما أوحى الله به قديمًا فى بعض كتبه [٤] ، قديمًا ، وفيما ذكر من عيسى وأمره فى أنه يكون ، ويدعى ناصرًا ، وبذلك يروا - بدعًا - كل من تنصَّر نصرانيا [٥] .

فلما كبر عيسى فى أيام يحيى ، وكان يحيى ، صلى الله عليهما ، ممن أجابه وصار إليه ، فأمره بالتطهرة والاغتسال فى نهر الأردن ، وكان ذلك تطهرةً من الخطايا لمن تاب وآمن ، وقال ، فيما زعموا من إنجيلهم : (أنا أطهركم ، كما ترون بالماء ، والذى يأتيكم على أثرى ، فهو أكرم على الله منى ، وهو الذى يجعلُ به المدارة ، فلا يُودع خَزائنهُ إلا الحبوب المطيبة المنقاة ، وما بقى بعد ذلك من الغرابلة والتبن ، وما ليس بذى قيمة ولا ثمن يُحرقُ بالنار ، التى لا تخمد ، حيث يبقى التحريق ويخلدُ » [٦] .

*** تعميد عيسى :**

فلما سمع عيسى بأخبار يحيى ، صلى الله عليهما وعلى جميع النبيين ، وما

---

(١) هيردوس هذا كان واليا من ولاة القيصر طيباريوس على الجليل ، وكان طاغية له قصة مع يوحنا المعمدان ، إنتهت بسجن النبى وقتله بين يدى راقصة ، انظر إنجيل لوقا ؛ ١ : ٥ ، ٣ : ١٩ - ٢٠ وإنجيل مرقص ٦ : ١٧ - ٢٩ .

(٢) انجيل متى ؛ ٢ : ١ - ١٢ .

(٣) ارخيلاوس .

(٤) تكررت : فى بعض كتبه .

(٥) انظر قصة رجوعه إلى فلسطين ودخوله الناصرة مع أمه وزوجها يوسف النجار ، إنجيل متى ؛ ٢ : ٤١ - ٥٣ .

(٦) قارن انجيل متى ؛ ٣ : ١١ - ١٢ ، وانجيل لوقا ؛ ٣ : ١٦ ، ١٧ .

يصنع من تطهيرة للمؤمنين ، أقبل إلى يحيى من جبل الخليل ، ليضعَهُ بالماء ويطهره ، فكَرِهَ يحيى ، عليه السلام مجيئَهُ لذلك وأمره - زعموا - وقال له يحيى : دعنا الآن من هذا فإن هكذا ينبغى لنا أن نستتمّ خلال البِّر كلها ، أو كل ما قدرنا عليه منها (١) .

فتركه يحيى حينئذ فاغتسل ، وعمل فى ذلك ما أراد أن يعمل ، ثم سمع بقتل اليهود ليحيى ، فانطلق إلى أرض الخليل ، فسكن فى كفرٍ ناحوم يتفيئ من حد زبولون ، وثمّ أوحى الله - زعموا - فيه إلى شعيب ، صلى الله عليه ، فى مصير عيسى من زبولون ، إلى ما صار إليه .

وكان فى مصيره إليها ، ومقامه بها سياراً يُسبِّحُ فى أرض الجليل ، ينشر ويعلم ما يجب لله كل جيلٍ وقبيل ، ويبرئُ كل مرضٍ ، وأتى بكل ذى وجع ومرضٍ من البرصاء والمجانين ، والكمه والمقعدين فإبرا أهم ، بإذن الله ، من أمراضهم المختلفة الهائلة ، وانطلقت على إثره جموع كثيرة من كل قبيلة من أرض الخليل ، ومن المدائن العشر ، وأهل بيت المقدس ، ومن غير الأردنّ .

*** موعظة الجبل :**

* فلما رأى عيسى ، صلى الله عليه ، تلك الجموع ، وما اجتمع منها إليه ، صعد على جبل مرتفع ، فارتفع عليه ، ليسمع قوله كل من اجتمع ، فلما صعد عليه أدنى منه حوارّييه ، ثم قال :

طوبى بالرّوح عند الله غداً للمساكين ،ذوى التقوى ، كيف يكون ثوابهم فى ملكوت الله ، ودار الأقامة والمثوى .

وطوبى للمتواضعين لله ،كيف يرثون أرض الله .

طوبى للجياع العطاسين فى الله بالبرِ ، كيف يشبعون ، ويروون فى يوم البعث والحشر .

طوبى للرحماء فى الله ، كيف يفوزون برحمة الله .

---

(١) قارن انجيل متى ؛ ٣ : ١٣ - ١٦ .

طوبى للنقـيـة قلوبهـم ، إذا نظروا إلى ربهـم ، كـيف يصنع غـداً بهم ، وكـيف سينتفعون عنده بكسبهم .

طوبى لعمالِ السـلامِ لله ، كيف يدعـون أصفيـاء الله ، طوبى للذيـن يطـردون ، ٥٥ ظ / لأعمال البر كيف يملكون فى ملك السماء إلى آخر الدهر .

ثم قال صلى الله عليه ، لمن [١] **أجابه ولحواييه** : طوبى لكم إذا أنتم عبرتم وطردتم فىّ وعلىّ ، **وقيلت لكم** : قولـوا السـوء والكـذب مـن أجلـى !.. عندهـا فليعظـم فـرحكـم ، لما عظم الله فى السـمـاء من نوركم ، وذخـر عند الله من الأجـرة لـكـم ، من أجوركم .

فإن تُظلموا ، فقبلكم ما ظلمت الرسل والأنبياء ، أو يكذب عليكم فمن قيل ما قبل على الله الكذب والافتراء .

أنتم ملح الأرض فإذا نتن الملح فبما يملح حينئذ !..

فحينئذٍ لا يصلح إلا أن يرمى به ويطرح ، فيكون شيئًا ملقى ، وتراب أرض توطئُ.

أنتم نور العالم [٢] ، الذى لا يخفى على من يبصره ، ويرى ، وهل يستطيع ظاهره على جبل أن يخفى أو يتوارى ؟ وهل يسرج السراج تحت الأغطية ؟!.. لا ، ولكن يحمل فوق المنارة العالية ، لكى ينير ، فيضئ ويظهر فلا يختفى .

وكذلك أنتم تنيرون للناس ، بنوركم المضئ [٣] لينظروا عيانًا إلى عملكم الرضى لتحمدوا الله ربكم الذى زكاكم وأعطاكم من توفيقه ما أعطاكم . [٤]

* ألا ، ولا يظنن أحُدٌ أنى جئت لرفع التوراة والإنجيل والأنبياء ، ولا لنقض شئ جاء عن الله من جميع الأشياء ، ولكنى جئت لتمام ذلك كلهِ ، ولتصديق جميع أمر الله فيه ورسله [٥] .

---

(١) فى الأصل : لم .

(٢) فى الأصل : العلم .

(٣) فى الأصل : المضى .

(٤) قارن بإنجيل متى ٥ : ١٣ - ١٦ .

(٥) فى انجيل متى ٥ : ١٧ - ١٨ (لاتظنوا أنى جئت لانقض الناموس أو الأنبياء ، ماجئت لانقض بل لأكمل . فالحق أقول لكم : إلى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

* وأقول لكم قولاً حقًا وأنبئكم نبأ [1] فافهموه صدقًا ، إنه لا يُغير من آيات الله آيةً أو غُير من وصياه وصيةً ، فعلمها أحداً من الناس مبدّلةً مغيرةً ، صغيرة كانت الآية والوصية أو كبيرة ، دُعِيَ فى ملكوت الله خسيسًا ناقصًا . ومن عملها كما نزلت ، كان فى الآخرة تامًا خالصًا .

وحقًا أقول لكم ؛ لإن لم تكونوا من الأبرار، ويكن بركم من أفضل برِ الكتبة والأخيار ، لا تدخلون غداً فى ملكوت الله الغفار .

* ألا وقد سمعتم من التوارة أن لا تقتلوا النفس المحرمة ، ومن قتلها فقد استوجب فى الدنيا العقوبة المؤلمة . وأنا فإنى أقول لكم : إن من قال لأخيه كلمةً قبيحة تؤذيه ، فقد استوجب العقوبة ؛ إلا أن يحدثَ لله منها توبة .

ومن قال لأخيه ليعيره . إنك لأرغل [2] لم تختتنْ ؛ فقد استوجبَ فى الآخرة [3] نار جهنم ، بل من قرب منكم قربانه على المذبح ، وأدناه وقربه ليذبحه ، ثم ذكر أن أخاه واجدٌ عليه ، فليدع قربانه ، وليذهب إلى أخيه فيصالحه ، ألا وقد قيل فى التوارة : لا تكذبوا إذا حلفتم ، ولكن اصدقوا إذا حلفتم بالله وأقسمتم .

وأنا فإنى أقول لكم : لا تحلفوا بشئ من الأشياء ، ولا تقسموا طائعين بقسم ، ولا إيلاء [4] ، لا تحلفوا بالسماء التى هى مكان كرسى الله ، وفيها تكون ملائكة الله ، ولا بالأرض التى هى مكان (منزل) [5] رحمة الله وآياته ، ولا بحياةِ شئٍ ولا برأس ٥٦ و / آدميٍ ولكن ليكن كلامكم : نعم ، وكلا ، فيما تقولون ، وبلى ، وما كان سوى ذلك فهو من السوء والهزأ [6] .

* ومن سأل أحدكم شيئًا ، فليعطه ، ولو كان نفيسًا غاليًا [7] ألا وقد سمعتم ، أن قيل : أحبّوا أولياءكم وأبغضوا من الناس أعداءكم . وأنا أقول لكم : أحبّوا فى الله

---

(١) فى الأصل : وانبيكم بنا .

(٢) الغزلة : جلدة الصبى التي تقطع فى الختان (الوسيط ١ /٦٥٧) .

(٣) فى الأصل : الاخرة .

(٤) الإيلاء : هو القسم أيضا .. والاجتهاد فيه (الوسيط ١ /٢٥) .

(٥) زيادة فى الهامش .

(٦) فى الأصل : الهزو ، والهزء: السخرية ، والهزاة : الرجل يهزأ بالناس (الوجيز ٦٤٩) ، وانظر إنجيل متى ٥ : ١٧-٤٢ .

(٧) فى الأصل : عليا .

أعداءكم ، وبركوا منهم على من لعنكم . وأذاكم ، وأحسنوا منهم إلى مبغضكم ، وصِلوا منهم من يؤذيكم ؛ لكى تكونوا من أصفياء الله ، ولتفوزوا بالكرامة والرضى من الله الذى يُطلع شمسه على المتقين [١] والفجرة ، وينزل أمطاره على الظالمين والبرره ، فإن كنتم إنما تحبون من يحبكم ، فأى أجر حينئذ لكم ؟!.. أو ليس المكسة [٢] والعُشَّارون [٣] كذلك فيما بينهم يفعلون ؟! [٤] .

* ألا ولا تراءوا الناس بالصدقة والزكاة ، ولا بما تنفلونه [٥] لله من الصلاة ، فتحبطوا أعمالكم فى ذلك لله بالرّياء ، وتتوفوا أجورها فى عاجل هذه الدنيا ، ولكن لتكن صدقتكم لله فيما بينكم وبين الله ، خفية سراً فإن الله ربكم الذى يرى سركم هون ، يجعلها لكم علانية جهراً [٦] .

وإذا كنتم فى صلاةٍ لله أو خشوع ، فلا تقوموا بذلك فى السكك والجموع ، كالمرائين للناس ، بما هم فيه لذلك من حالهم ، فحقًا أقول لكم ، لقد يُوفى أولئك جزاء أعمالهم .

* وإذا صليتم فلا ترفعوا أصواتكم ودعاءكم ، طلبًا للربا ، فإن الله يعلم قبل أن تسألوه ما تحتاجون إليه من الأشياء ، ولكن إن صليتم فللهِ وحده فصلوا ، وإذا حكمتم فى أرضه بحكم فاعدلوا . وقولوا : ربنا الذى فى السماء تقدس اسمك ، وارزقنا طعام فاقةِ يومنا واغفر لنا سالف جرمنا ، كما تغفر لمن ظلمنا ، واعف عنا برحمتك ، وإن أجرمنا ، ولا تبتلينا ، ربنا ، بالبلاء ، وخلصنا من مكاره الأسواء ، فإن لك الملك والقدرة ، ومنك الحكم والمغفرة أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

* واعلموا أنكم إن غفرتم للناس ما بينهم وبينكم ، فإن الله ، سبحانه ، يغفر لكم ، وإذا صمتم فلا تغبروا وجوهكم ، ليعلم الناس حقوقكم (ولكن إن صمتم فاغسلوا وجوهكم ، وادهنوا رؤوسكم ، ولكن فلا يعلم الناس

---

(١) فى الأصل : الميفنين .

(٢) جمع ماكس : مكّاس بالقاموس ، وهو من يأخذ الضريبة من التجار (الوجيز ٥٨٧) .

(٣) هم جامعوا المكوس وزكاة الأموال (الوسيط ٢ /٦٠٨) .

(٤) قارن ، بإنجيل متى ٥ : ١ : ١٢ ، ٤٣ – ٤٨ ، وكذلك لو ٦ : ٢٩ – ٣٦ .

(٥) فى الأصل : تفلون .. والنفل : مازاد على الواجب ، والجمع نوافل وأنفال (الوسيط ٢ / ٩٥١) .

(٦) قارن إنجيل لوقا : ٦ : ٢٠ – ٣٨ .

صومكم) [1] فإن الله الذى صمتم لـه سـراً ، يجزيكم بصومكم علانيـة جهـراً [2] .

ألا ولاتخـزنـوا خـزائنكـم ، ولا تجعلوا فى الأرض ذخـائركـم ، فـإن مـا فـى الأرض ، يفسـده السـوس ، وتأكله الإرضة ، [3] وتعرض اله للآفات ، وتناله السرقة ، ولكن [4] اخزنوا خزائنكـم وذخـائركم ، فى السمـاوات العلا ، حيث لا يـفسدُ منها شئ ، ولا يبلى بسرقة ، ولا آفةٍ معترضة ، ولا ينالها أكل سوسٍ ، ولا سرقةٍ أرضة .

فحقًا أقول لكم : إنــه [5] حيث تكون خزائنكم وذخـائركم ، هنا لك تكون قلوبكـم وضمـائركم ، واعلـمـوا أن سراج الجسـد العين ، فإذا كـانت العين نيرةً ، كـان ٥٦ ظ / الجسـد نيّراً . **مضيئًا** ، وإن كـانت العين عميَّةً مظلمة ، كـان الجسدُ مظلمـاً ، وإذا كـان النور فـيكم مظلماً ، لا يبـصـر ولا يعلم فـيكم ، ترون ظلمـة حواسكم ، وقلوبكم أعمى وأظلم .

واعلمـوا أن الله لـم يجعل لأحـدٍ فى جوفـهِ من قلبين ، لا يستطيع أحـد منكم أن يعبد ربين ؛ لأنه لابد له من أن يكرم أحدهمـا ويجله ، فيقصِّر عن الآخر عن الكرامة ويغفله ، أو يهين أحدهما ويحقره ، فيجل الآخر ويكبره ، وكذلك لا تستطيعون أن تعبدوا الله وتعزروه ، وتسعوا للمالِ فتجمعوه وتكثِّروه .

ومن أجل ذلك ، فإنى أقول لكم : لا تهتموا بما تأكلون ، ولا مـا تشربون ، ولا ما تلبســون ، أليس مـا خلق الله لكم من الجـوارح والأجسـام ، أكـرم وأجل وأكـثـر من الشراب والطعام ؟! .. أو ليس ما خلق الله لكم من الأنفس ، آثرُ عند الله من الثياب والملبس ؟!

انظروا إلى طير الأرض والسمـاء ، وما خلق الله من ذوات الماء ، التى لا يزرعن ذرعًا ولا يحـصـدنه ولا يدخرنه فى الأهواء ولا يحـشـدنه ، والله ربكم الذى فى السـمـاء ، يرزقهن فى كل يوم ما يصلحهن من الغذاء ، وانظروا إلى عشب البرية ، التى تنسج

---

(١) زيادة بالهامش .

(٢) انظر إنجيل متى ٦ : ٥ - ٨ ، ١٦ - ١٨ .

(٣) دودة بيضاء تشبه النملة ، تظهر فى الربيع ، وكذلك دويبة تأكل المخزون من القمح وشبهه والخشب (الوسيط ١ / ١٤)

(٤) تكررت فى الأصل .

(٥) فى الأصل : إن .

ولم تغزل ، ولم يغن منه بشئ ، ولم يعتمل ، كيف يلبسه الله فى حينه كل لونٍ زينةً تبهجُه ، أو حسنًا أو نورًا .

فـإنى [١] أقول لكم ، إن سليمان بن داود ، فى كل ما كان فيه ، من ملكه وسلطانه ، ما كان يقدرُ على أن يلبس لونًا واحدًا ، مما ألبسه الله العشب وألوانه ، فإن كان العشب فى حين تنويره ، ذا بهجةٍ ونور ، فعمّا قليلٍ ، وبعدَ يَسير ، ما يُجعلُ وقودًا للتنورِ [٢] ! .. ثم الله ، تبارك وتعالى اسمه ، يلبسه من البهجةِ والنورِ ما يلتمسه فيكم .

فكم ينبغى لكم ، ياناقضى الأمانة ، أن لا تهتموا فتشغلوا ، ولا تكثروا من القول لأنفسكم ، ولا لغيركم ، (وكم) [٣] **فتقولوا** : ما نأكل وما نشرب وما نلبس ؟! .. وأين تذهب ركابكم ، بما قلَّتْ من هذا ، لا توقنون ! .. فكل هذه الشعوب التى ترون تبتغى ذلك ، ولا تبتغوا منه ما يبتغون ، فإن ربكم الذى فى السماء ، يعلم ما ينبغى لكم ، من قبل أن تسألوه إياه ، ولكن ابتغوا طاعتهُ [٤] ورضاه .

فأما ما ذكرت من هذا كله ، فهو يعطيكم ، ويعطيه ما لا يرضى عليه ، فلا تشتغلوا بغدٍ وما بعَدهُ من شُغله ، فبحسب غدٍ أن يقومَ شغلُ أهله ، وكفى يومكم من غده بما فى غدٍ من كدّهِ [٥] .

ألا ولا تعسفوا أحدًا بظلمٍ ، فإنكم كما تدينون تدانون ، والمكيال الذى تكيلون به تكتالون . فما بال أحدكم يرى القذى فى عين أخيه ، ولا يرى السارية الشامخة (التى) [٦] فى عينيه ؟!

أم كيف يقول لأخيه : أتركنى أنزع من عينيك قذاها ، والسارية الشامخة التى فى عينيه لا يراها ؟!

---

(١) في الأصل : فإنا .

(٢) أى الفرق يخبز فيه (الوسيط ١ / ٨٩) .

(٣) زيادة من الهامش .

(٤) فى الأصل : طاعة .

(٥) متى ٦ : ١٩ – ٣٤ ، لو ١٢ : ٢٢ – ٣١ .

(٦) زيادة بالهامش .

أيا مخادعًا مَلِقًا ، ومخاتلاً لغيره مُسترِقًا ، أخرجْ السارية أولاً من عينك ، ثم التمس بعدُ ، إخراجها من عين غيرك .

إليّ واسمعوا عنى ، وافهموا ما أقول عنى ، لا ترموا بقوس الصواب بين نوابح الكلاب ، ولا تقذفوا بلؤلؤكم المنير ، بين عانات الخنازير [1] ، فلعلهن أن يدنسنه وينتن ما ألقيتم بينهن منه .

ألا واسألوا تُعطَوا وابتغوا تجدوا ، واقرعوا [2] يفتح لكم ، فكل سائل يعطَ [3] ومبتغ يجد ما ابتغى ، وكل من استفتح يفتح له ، وأى أمرىٍ منكم يسأله حبيبه أو ٥٧ و / أبنهُ براً أو خيراً ، فيعطيه مكان ما سأله من ذلك ، حجراً ، أو يسأله سمكةً ، فيعطيه حيةً مهلكة !!

فإن كنتم ، وأنتم أنتم فى التعرض والتقصير ، ومنكم كل ظالمٍ وشرير ، تعطون العطايا الصالحة أبناءكم ، وتجيبون عند الدعاء والمسألة أحباءكم ، فكم ترون الله فى ذلك ؟!! .. وإذًا الأمر كذلك من الزيادة عليْكم فيه ، للذى تسألونه وترغبون إليه .

وانظروا كَما تحبون أن يفعله الناس بكم ، فافعلوه لهم ، وكما تريدون العدل من الناس عليكم ، فكذلك فاعدلوا عليهم [4] .

وإن تلك سُنّةَ الرسل والأنبياء ، وميزان عدل الله فى الأشياء ، وادخلوا الله ، وفى الله ، باب الضيق والمخاوف . فإن باب الأمن والسعة (بمعصية الله) [5] سبب الهلكة والمتالف ، ولكثير ممن يدخله ويؤثره ، ممن يبصر ذلك ومن لا يبصره ، وما أضيق المدخل والباب ، وأغفل السبيل والأسباب ، التى تبلغ العباد الحياة ، وتوجب للناس النجاة ، وأقل من يجدها أو يسهل له وردها !!.

ألا واحتفظوا من كَذَبة أولياء الشيطان ، الذين يراؤن الناس بلباس الحملان ، وهم

---

(١) أى زوجها

(٢) أى أطرقوا .

(٣) فى الأصل : يعطى .

(٤) قارن إنجيل متى ٧ : ٧ – ١١ ، ولوقا ؛ ١١ : ٩ – ١٣ .

(٥) زيادة من الهامش .

مع ذلك ذئابٌ ضاريةٌ ، وقلوبهم مستكبرةٌ عاصية ، فلا تغتروا بظاهر حاله ، ولكن اعرفوهم من قبل أعمالهم . فهل يخرج من الشوك عنبٌ . أو من الحنظل رطبٌ ؟! . . لا لن يكون أبداً ذلك ، ولن يوجد كذلك ، ولكنه تخرج من كل شجرة طيبة ، ثمرةٌ طيبةٌ ، وتخرج من كل شجرةٍ خبيثة ثمرةٌ خبيثة ، وإنما تعرف الشجرة الخبيثة من قبل خبث ثمرها ، فإذا كانت كذلك خبيثة أوقدت النار بها .

وكذلك العمل (إذا كان)[1] سيئًا غيًّا ، فلا يكون صاحبه إلا مُسيئًا غويًا ، وليس كل من[2] يقول ربى ربى ، بإقرارى والدعاء ، يدخل يوم القيامة فى كرامةِ ملكوتِ السماء ، إلا أن يكون ممن عَمل فى دار الدنيا ، بما حكم الله عليه من التقوى ، ولكثيرٌ فى ذلك اليوم ما تقول : ربنا وباسمك هدْيُنا وسعْيُنا ، وباسمك أخرجنا من الشياطين[3] ماأخرجَنَا ، وباسمك أموراً كثيرةً من العجائب صنعنا .

ثم يقول الله لهم فى ذلك اليوم : تأخروا عنّى ، يا عمال الزور .

* * *

قال صلى الله عليه : اعلموا أنه من سمع كلامى ، فعمل بما سمع ، وقبله عنى ، فمثله كمثلِ رجلٍ ذى لبٍ وحكمةٍ ، بنى بنيةً على أساسٍ من حجر محكمةٍ ، فلما جاءت الأمطار ، جرت فأعظمت الأنهار وتهيَّجت الرياح الكبار ، جعل ذلك ينطحُ من كل جدارٍ فلم يسقطْ البيتُ ، ولم يخرّ .

ومثل من يسمع كلامى ، بغير تسليم ولا يقبل ، كمثلِ رجلٍ ، ذى حماقةٍ وجهل مُضللٍ ، بنى بنيةً على جُرفٍ[4] منهارٍ ، أو رملٍ كثير هيَّالٍ ، فلما جاءت الأمطار ، ودرَّتْ ، وتحركت الأنهار وفجرت ، وعصفت الرياح فأعصفت ، خرَّبيتهُ منقعراً ، وسقطَ سقوطًا مفزعًا مُذعراً[5] .

---

(١) زيادة ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : ما .

(٣) فى الأصل : الساطين .

(٤) أى حافة لينة ضعيفة .

(٥) إنجيل متى ٧ : ٢٤ - ٢٧ .

قالوا : فلما فرغ ، من كلامه هذا كله ، عجبَ من حضره من حكمته فيه وقوله ، ثم لا سيما الكتبة والأحبار ، فإنهم كانوا أعجبهم به [1] .

* * *

* وفى أنا جيلهم : أنه قال عليه السلام : بحق أقول لكم ، أيها الناس والكتبة ٥٧ ظ / والأحبار إن كثيراً من المشرق والمغرب يجئ يوم القيامة (والجزاء) [2] ، يبكى مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب فى ملكوت السماء ، وإن كثيراً ممن يزعم أنه ابن لهم ، يقصى عنهم مع الظلمة فى النار . ثم يكونون أبداً مخلدين فى البكاء وتخريق الأستار .

* وفى أناجيلهم : أن رجلاً من الكتبة جاءه فقال : إنى أحبُ أن أتبعك ، وأكون حيث كنت معك ، فقال عليه السلام . لثعالبِ الوحش مغارٌ ، ولطير السماء أو كارٌ ، وأنا فليس لى منزل ولا قرارٌ أقر فيه ، ولكلٍ مأوىً ، وليس لى مأوىً آوى إليه [3] .

* وفى أناجيلهم : أن رجلاً من حوارييه قال له [4] : يا معلمى أئذن لى أذهب فأدفن أبى . فقال له : تعالَ اتبعنى ، وكن معى ، وعلى أثرى ، واترك الأموات يدفنوا موتاهم ، ففيهم لدفنهم ماكفاهم [5] .

تم والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خاتم النبيين ،

وعلى أهل بيته الطيبين ، وسلم عليهم أجمعين .

تـم بحمـد الله

* * *

(١) إنجيل متى ٧ : ٢٨ – ٢٩ ، ولوقا : ٤ : ٣٢ ، وقارن .

(٢) زيادة بالهامش .

(٣) فى الأصل قاله .

(٤) قارن : إنجيل متى ؛ ٨ : ١٨ – ٢٢ .

(٥) قارن : إنجيل متى ؛ ٨ : ١٨ – ٢٢ ، ولوقا ؛ ٩ : ٥٧ – ٦٢ .

الفهـــرس

دار الآفـــاق العـــربية

القاهرة - ٥٥ شارع محمود طلعت (من شارع الطيران) مدينة نصر
تليفون : ٢٦١٠١٦٤